أدعية المسلمين فى مصر والشام فى العصر المملوكى (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) بين ممارسات السياسة وتعقدات المجتمع ومعتقدات العوام

د/ محمد السيد فياض

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كلة الآداب – جامعه طنطا

أدعية المسلمين فى مصر والشام فى العصر المملوكى (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

الدعاء [١] هو بوابة المؤمنين بجميع الأديان إلى السماء ، فالناس يتوجهون بدعواتهم وابتهالاتهم متضرعين علهم يحققون أمنياتهم ، وفى الحقيقة فإن هذه الدراسة لا تنوى بحال من الأحوال أن تناقش قضية الدعاء من الناحية الدينية ، ولكن الإشكالية الحقيقة التى ننتوى الغوص فيها هو علاقة هذه الأدعية بالمجال العام سواء الواقع السياسى أو الاجتماعى والثقافى للمسلمين فى مصر والشام فى العصر المملوكى ، فالأدعية التى ستقف الدراسة عندها ستعكس وقائع سياسية ، وأوجاع اجتماعية ، وقناعات فكرية ، وإشكاليات ثقافية وذهنيات شعبية ، من هنا تتأتى مشروعية هذه الدراسة التى لا تقصد سوى ولوج الباب التاريخى من مدخل مختلف وجديد .

وبموضوعية شديدة فيمكننا الجزم بأن الدعاء فى الممارسات الاجتماعية لمسلمى مصر والشام كان متجذراً لدرجة ارتقائه لمرتبة الظاهرة حيث كان حاضراً بوضوح شديد في ذهنية العديد من أفراد المجتمع المصري والشامي في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) فظهر جليًا في كافة جوانب الطقوس والحياة والمراسم وبالتالى كان حاضراً بوضوح أيضاً فى طيات النصوص والمصادر التاريخية التى أرخت لهذا العصر.

(١) دعاء مصدر دعا، وجمعها أدعية، والدعاء يأتي بمعنى الابتهال والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى بالسؤال والطلب والرغبة فيما عنده من الخير ، والدعاء اصطلاحًا: توجه العبد إلى الله تعالى فيما يحتاجه لإصلاح دينه ودنياه . انظر : الفيومي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق خضر الجواد، مكتبة لبنان، لبنان، ١٩٨٧م ، ص٧٤

وحسب إحدى الدراسات البالغة الأهمية " فإن الدعاء كان له أثر بالغ فى مجريات الأمور حسب اعتقاد أهل العصور الوسطى وكان ذلك جزءاً من الجاذبية التى تمتع بها الصوفية والصالحين ، وكان أيضاً الدعاء جزءاً من التكتيكات التى يستخدمها العامة فى الاحتجاجات ... ، بالإضافة إلى ما اعتاده المؤرخون عن تنامى السخط الشعبى بإجماله فى عبارة وكثر الدعاء على السلطان ، وأن الدعاء فى حد ذاته كان فى بعض الأحيان عملاً من أعمال الاحتجاج " [١] ، وحسب إحدى الدراسات الهامة أن الدافع الذى كان وراء أشكال المقاومة السياسية التحتية ....تتأثر إلى حد بعيد بمستوى الحاجة والكرامة فى أوساط السكان المحكومين [٢] .

فالجماعات المحكومة أنشأت ترسانة كبيرة من التقنيات التى تخدمها فى ستر هويتها وتسهل الانتقاد المكشوف والتهديدات والهجمات العلنية ، أما التقنيات البارزة التى تحقق هذه الغاية فإنها تشمل الاستحواذ الروحى والثرثرة والعدوان بواسطة السحر والشائعات والتهديدات المغلفة ، والعنف المجهول صاحبه ، والتحدى الجماهيرى [٣] ، وبقناعة شديدة يمكننا القول أن الدعاء أحد هذه التقنيات وخصوصاً إذا تماس مع المجال العام السياسى .

والدعاء فى بعض حالات العصر المملوكى كان عائقاً للحداثة ، لم يكن مجرد لجوء إلى الله عز وجل بل كان تعبيراً عن التخلف الاجتماعى وقلة الحيلة ، وأبرز مثال على النص التالى الذى ينقله ابن زنبل فى مشهد النهاية بين العثمانيين والمماليك قائلاً عن البنادق العثمانية التى ألحقت الكثير من الإصابات القاتلة بفرسان المماليك الذين لم يكونوا يحاربون بسوى السيف وحسب تعليق ابن زنبل " ولا ضرهم إلا البندق فإنه يأخذ الرجل على حين غفلة لا يعرف من أين جاءه ،

(١) أمينة خليل : عوام وسلاطين الاحتجاجات الحضرية فى أواخر العصور الوسطى فى مصر والشام ، ترجمة : عثمان محمد مصطفى ، المركز القومى للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٩ ، ص ٢٥٢ والتى تليها .

(٢) جيمس سكوت : المقاومة بالحيلة، كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم، ترجمة : إبراهيم الريس ومخائيل خوري ، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٥.، ص ١٨٩ .

(٣) جيمس سكوت : المقاومة بالحيلة ، ص ١٥٧ .

فقاتل الله أول من صنعها ، وقاتل من يرمى بها على من يشهد لله بالوحدانية ، ولرسوله بالرسالة .[١]

أدعية السيادة :

ينعكس عند ابن خلدون أهمية مناقشة قضية الدعاء فى سياقه السياسى قائلاً " وعندما حدثت الأبهة وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاة استنابوا فيهما فكان الخطيب يشير بذكر الخليفة على المنبر تنويها باسمه ودعاء له بما جعل الله مصلحة العالم فيه ولأن تلك الساعة مظنة للإجابة ولما ثبت عن السلف في قولهم من كانت له دعوة صالحة فليضعها في السلطان وكان الخليفة يفرد بذلك ، ويشير ابن خلدون إلى إشكالية أخرى بأن مشاركة الخليفة الدعاء كانت هاجساً ورغبة حقيقية لأمراء الدويلات المستقلة والمتغلبين ، وقد عبر عن هذا بقوله " فلما جاء الحجر والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثيرا ما يشاركون الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم عقب اسمه وذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الأمر إلى اختصاص السلطان بالدعاء له على المنبر دون د سواه وحظر أن يشاركه فيه أحد أو يسمو إليه " [٢].

لقد كان الدعاء في الخطبة [٣] للسلطان المملوكي مظهراً أصيلاً من مظاهر السيادة أو بحسب تعبير المصادر شعار السلطنة ، وطالما كان السلطان مذكوراً فى الولايات والنيابات المترامية فهو صاحب سيادة وسلطة وهى واقعة تحت سلطته في مصر والشام في العصر المملوكي ، فأول ما يتولى السلطان الحكم يُؤمر بالدعاء له على المنابر، ويشير ابن خلدون أيضاً أن الدعاء في الخطبة هو من الأمور الخلافية ومن شارات الملك الإسلامي ولم يعرف في

---

(١) أخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق عبد المنعم عامر، ط٢، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م ، ص ١٢٥ .

(٢) ابن خلدون: المقدمة ، تحقيق خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.ص٣٣٣

(٣) الدعاء في الخطبة: كان الشأن أولا عند الخلفاء ولاية الصلاة بأنفسهم فكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة على النبي "ص" ، وأول من اتخذ المنبر عمرو بن العاص عندما بنى جامعه بمصر ، وأول من دعا للخليفة على المنبر ابن عباس دعا لعلي رضي الله عنهما في خطبته وهو بالبصرة عامل له عليها فقال "اللهم انصر عليا على الحق" ، فأخذ عمرو بن العاص المنبر والدعاء فبلغ عمر بن الخطاب ذلك فكتب إليه عمر بن الخطاب "أما بعد فقد بلغني أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين أو ما يكفيك أن تكون قائما والمسلمون تحت عقبيك فعزمت عليك إلا ما كسرته". ابن خلدون: المقدمة ، ص٣٣٢ .

غير دول الإسلام[١]، كما يضيف ابن خلدون أيضاً أن الدعاء للسلطان من الواجب، ففيه استقامة الأمور، وصلاح الخاصة والجمهور[٢].

بالإضافة إلى ما سبق فقد كان من أبرز مراسم السلطنة الدعاء للسلطان الجديد بمناسبة سلطنته[٣]،إن أول الأمثلة التى تبدو بوضوح هو ما حدث مع أول سلطانة تتولى حكم الدولة المملوكية وهى السلطانة شجر الدر(٦٤٨هـ/١٢٥٠م) فكانوا يقولون في الدعاء لها بعد الخليفة العباسي

"**واحفظ اللهم الجهة الصالحية، ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية، صاحبة الملك الصالح**"[٤].

يمكننا أيضاً أن نرصد بوضوح هذه الإشكالية بعد انتصار المماليك على المغول ، فقد كانت القاهرة قد زُينت لقدوم الملك المظفر قطز(٦٥٧-٦٥٨هـ/١٢٥٩-١٢٦٠م) ونادى المنادي في الناس : "ترحموا على الملك المظفر وادعوا لسلطانكم الملك القاهر ركن الدين بيبرس(٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) "، ثم في آخر النهار أمر بالدعاء للملك الظاهر[٥] ، وكأن الدعاء لبيبرس فى هذا السياق اعترافاً بسلطته .

---

(١) المقدمة ، ص٣٣٢

(٢) تاريخه ، ج٧، ص٥٦٦

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٨، ص١١٦، ج١١، ص٢٠٧ ، ٢٢٢ ؛ ابن إياس: بدائع الزهور،ج١، ق١، ص٤٩١ ، ٤٩٥،ج٥ ، ص١٠٥

(٤) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م ، ص ١٩٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م ،ج٢٣،ص٢٠٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م ، ج١٦، ص٧٠؛ المقريزي: السلوك،ج١، ق٢، ص ٣٦٢؛ابن تغري: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز، ط٢، مطعبة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٢م ،ج٢،ص٢١؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٨٦؛ أحمد العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م ، ص١١٨؛ سعيد عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٥٧، ٥٨ .

(٥) المقريزي: السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٤٣٧

كما رافق الدعاء عملية التحول السياسى وانتقال السلطة بعد وفاة الظاهر بيبرس إلى ابنه دعا الخطباء على منابر الجوامع بمصر والقاهرة للملك السعيد بن الظاهر بيبرس(٦٧٦-٦٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٩م)[١] وصلي بها على الملك الظاهر صلاة الغائب[٢].

وكذلك فقد نقلت لنا النصوص أنه فى سنة (٧٤٢هـ/١٣٤١م) أعلن بالدعاء للسلطان أحمد بن الناصر محمد[٣] (٧٤٢-٧٤٣هـ / ١٣٤١-١٣٤٢م في خانقاة سعيد السعداء ودعوا له على منابر دمشق وضرب السكة باسمه[١].

---

(١) الملك السعيد بركة خان: هو ناصر الدين محمد بركة خان كما يكنى بأبو المعإلى، سمي على اسم جده لأمه، ولد سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م، وسلطنه والده الظاهر بيبرس في حياته وكان عمره وقتها نحو خمس سنوات، وبويع ثانيه بعد وفاته سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م، وقد توفي سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩م، واختلف في سبب وفاته، فقيل مات مسموماً واتهم فيه حماه المنصور قلاوون، وقيل أيضاً أنه سقط من على فرسه أثناء لعبه بالأكره، فصدع وحمي أيام ومات.ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ج٢، ص٢٩٦؛ بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية في الدولة التركية تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨-٧١١هـ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٧م ، ص٨٦، ٩٢؛ زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك، تحقيق زبيدة محمد عطا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٨٣، ١٨٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م ، جـ٥٠، ص٣١١، ٣١٢؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م، ج١، ص٥٣؛ المقريزي: المقفي الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م ، ج٥، ص٤٦١- ٤٦٦؛ الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهمي محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٩٨٩م ، ج٢،ص٦٠٩؛ القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٢م ، ج٢، ص٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) المقريزي: السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٦٤٣

(٣) السلطان الناصر أحمد: ولد سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م، عينه والده على نيابة الكرك وهو أقل من العاشرة من عمره، وظل على ذلك حتى وفاة والده، ولم يعهد له بالسلطنة وعهد لابنه أبو بكر، فطالب الناصر أحمد بالسلطنة، فتولى السلطنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م وقُتل سنة ٧٤٥هـ /١٣٤٤م بأمر من أخيه السلطان الصالح إسماعيل لفساده وسوء تدبيره. للمزيد انظر. الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م ر، ج١، ص٣٧٠ - ٣٧٥؛ الوافي بالوفيات، ج٨، ص٥٧-٦٠؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب،

وفي ذات المنحى عندما تم خلع المماليك السلطان الظاهر تمربغا(٨٧٢هـ/١٤٦٧م) من السلطنة سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٧م) أنزلوه إلى المخبأة ومعه بعض مماليكه فسجنوه بها وأعطوا نمجاة الملك وترسه لخير بك [٢].

كما يمكننا أن نرصد أيضاً ما أسميناه بمتلازمة الدعاء ومظاهر السيادة ، ففى عام (٧٨٣هـ/١٣٨١م) حيث أُختير الأمير الكبير برقوق ولقب بالملك الصالح حاجي[٣] ومد السماط بين يديه ثم عبروا به إلى القصر فأجلس به وخلع على الخليفة ونودي في القاهرة ومصر بالدعاء للسلطان الملك الصالح[٤] ، ثم تم خلعه وأظهر شعار السلطنة المصرية وخُطب على منابر العراق باسم السلطان برقوق والدعاء له[٥].

القاهرة، ١٩٨٥م، ج٢، ص١٧٩ –١٨١؛ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ج١، ص٢٩٤–٢٩٦.

(١) المقريزي: السلوك ، ج٢ ، ق٣، ص٥٩٤ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص٣٧

(٢) تم ذلك إشارة إلى سلطنته، بل صرحوا بذلك وأجلسوه مكان السلطان، ويقال إنهم قبلوا الأرض، وأنه لقب بالملك العادل ويقال إنما لقبه بالعادل لمؤذن بجامع القلعة، فإن من عادته الدعاء للسلطان فلما حضر وقت الدعاء قرب الأذان تحير في أمره وما الذي يدعو به ويقوله في دعائه، فأجرى الله تعالى على لسانه بأن قال: اللهم انصر عبدك السلطان الملك العادل . انظر : ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج٦، ص٣٠٦

(٣) السلطان الصالح حاجي: هو السلطان حاجي تقلد السلطنة للمرة الأولي سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م بعد وفاة أخيه المنصور على، وكان عمره عشرة أعوام تقريباً ولكنه وقتها لم يكن له من السلطنة الا الاسم فقط، وتم خلعه سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م وتولى الظاهر برقوق السلطنة، ثم خُلع الظاهر على يد يلبغا الناصري وأعيدت السلطنة إلى أمير حاج ٧٩١هـ/١٣٨٨م، توفي سنة ٨١٤هـ/١٤١١م . انظر: ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٤؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص١٠٧ –١١٧؛ الدليل الشافي، ج١، ص٢٥٧؛ النجوم الزاهرة، ج١١، ٢٠٦ –٢١٥؛ الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م. ، ج١، ص١٣٠، ١٣١.

(٤) المقريزي: السلوك ، ج٣، ق٢، ص٤٣٩

(٥) ابن الشحنة: روض المناظر، ص٢٩٦؛ االمقريزي: السلوك، ج٣،ق٢، ص٨١٤؛ درر العقود، ج١، ص٢٣٩؛ ابن حجر العسقلانى: إنباء الغمر، ج١، ص٤٧٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٤٣؛ حكيم عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص١٢٨؛ حسن السندوبي: الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ١١١ .

ومن النصوص التى تبرهن على ما ذهبت إليه الدراسة من أن الدعاء للسلطان من كان رسماً أصيلاً من رسوم السلطة أنه سنة (٨٠٧هـ/١٤٠٤م) أُرسل إلى قاضي دار الخطابة قبيل الصلاة أن لا يدعو للسلطان الناصر فرج[١] (الأولي٨٠١-٨٠٨هـ/ ١٣٩٨-١٤٠٥م)،(الثانية٨٠٨-٨١٥هـ/ ١٤٠٥-١٤١٢م) فامتثل القاضي ذلك وكانت نوبته يومئذ ثم تابعه سائر الخطباء في شوال على ذلك في يوم العيد وبعضهم في الجمعة التي بعدها إلى أن دعا البعض للسلطان الناصر فتابعوهم واستمر الأمر على ذلك[٢] ، ومن الجدير بالذكر فقد أثار الدعاء له آنذاك إشكالية كبرى ، فقد تأخرت طائفة عن الدعاء وكان السبب فى هذا صيغة الدعاء نفسه وذلك لأن القاضي كان يقول" :اللهم انصره وانصر عساكره وكن اللهم مؤيده وناصره وامحق بسيفه الطائفة المارقة الكافرة" فقالوا: هذا يدعو علينا فذكروا ذلك للنائب فأرسل بترك ذلك، ثم أن الأمير جكم لما توجه إلى طرابلس ألزم الخطباء بترك ذكر السلطان[٣].

ويبدو أن عملية الدعاء نفسها قد أُحيطت بمظاهر بروتوكولية فقد حرص بعض السلاطين المماليك على مراعاة بعض الآداب في الدعاء لهم ، ففي سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م) أشار السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)[٤] لمن حضر مجلسه من الفقهاء بأن من الأدب أنه

---

(١) الناصر فرج: هو السلطان الناصر فرج بن الظاهر برقوق، السلطان الثاني من ملوك الجراكسة، ولد سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م تولى الحكم صبيحة موت أبيه سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م، وكان عمره آنذاك عشر سنين، واستمر في الحكم إلى أن حدثت عدة فتن وحروب بينه وبين مماليك أبيه الظاهر أدت إلى اختفائه سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م، وتم خلعه وتسلطن أخوه المنصور عبد العزيز بن الظاهر، إلى أن ظهر وخلع أخيه المنصور وتسلطن مرة أخري، كما دخل في حروب مع الأمراء أودت هذه المرة بحياته، وتم قتله سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م. للمزيد من التفاصيل انظر. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٨،ص٣٧٩ - ٤٠٢؛ الدليل الشافي،ج٢،ص٥٢٠؛ مورد اللطافة، ج٢، ص١٢١-١٣٢؛ محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ط٢، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٦٢م ، ج١، ق١، ص٤٤ - ٤٦.

(٢) ابن حجي: تاريخه، ج٢، ص٥٦٥ ، ٥٧٤

(٣) ابن حجي: تاريخه، ج٢، ص٥٦٨

(٤) المؤيد شيخ: أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، اشتراه من أستاذه الخواجا محمود شاه البرزي سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م، وذلك قبل سلطنته بعامين، وكان عمر شيخ أنذاك اثنى عشر عاماً، وظل يتنقل في المناصب في حياة أستاذه الظاهر إلى أن أصبح أمير طلبخاناه، وبعد وفاته وتولي ابنه الناصر فرج ظل يترفع في المناصب إلى أن ولاه نيابة دمشق، فاتفق مع أمراء الشام على ابن أستاذهم الناصر فرج، ووقعت عدة حروب بينهم، وآل الأمر إلى قتل الناصر فرج، وتولي شيخ السلطنة سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م، وتلقب بالمؤيد . انظر : ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج١٤،ص١، ٢؛ مورد

إذا دعا الخطباء في يوم الجمعة للسلطان أن ينزلوا عن موقفهم الذي كانوا فيه درجة ثم يدعون للسلطان حتى لا يكون ذكر السلطان في الموضع الذي فيه يذكر الله تعالى ورسوله (ص) وأمر الخطباء بذلك ، فاعتمد خطباء مصر والقاهرة ما أشار به السلطان فنزلوا عندما أرادوا الدعاء له درجة ثم دعوا وامتنع من ذلك قاضي القضاة البلقيني [١] في جامع القلعة لكونه لم يؤمر بذلك ابتداء فسئل عن ذلك فقال: "ليس هو السنة" فغير عزم السلطان عن ذلك فترك الناس ذلك بعده[٢].

أما عن آخر ما يمكن رصده فى هذا السياق فهو ما نقلته لنا النصوص أنه أثناء تولى الأشرف قانصوه الغوري[٣] (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) الحكم في (سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م) انطلقت له الألسنة بالأدعية الفاخرة [٤] .

اللطافة، ج٢، ص١٣٦ – ١٣٩؛ القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٢م، ج٢، ص٣٠٤، ٣٠٥؛ محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ج١، ق١، ص٤٧.

(١) شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن البلقيني: هو شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني البلقيني الشافعي، ولد سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م، قدم به والده إلى القاهرة وهو في الثانية عشرة من عمره، وطلب العلم واشتغل على علماء عصره حتى أذن له بالفتيا وهو ابن خمس عشرة سنة، وانفرد برئاسة العلم مع تقدمه في العمر، وولى إفتاء دار العدل سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م وولي قضاء دمشق سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م،توفى سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م بالقاهرة. المقريزي: السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٠٨؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٢، ص٢٤٥، ٢٤٦ .

(٢) المقريزي: السلوك ، ج٤، ق١، ص٣٥٩ ، ٣٦٠ ؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٣، ص٩٢ ، ٩٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٤،ص٤٣؛ ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج٣، ص٣٠٨ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور، ج٢، ص٢٧، ٢٨.

(٣) الأشرف قانصوه الغوري: أصله جركسي من عتقاء السلطان الأشرف قايتباي، وقد جعله من جملة المماليك الجمدارية، وظل يتنقل في المناصب حتى تولى السلطنة سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م في فترة حرجة من تاريخها من فتن وثورات وانقلاب على السلطان وقتله، وكان ذلك بعد خلع السلطان العادل طومان باي رغماً عنه، وله من العمر ستين سنة، وقد قُتل في معركة مرج دابق على يد العثمانين سنة ٩٢٢هـ /١٥١٦م . انظر : ابن إياس: بدائع الزهور،ج٤،ص٢-٥؛ القرماني: أخبار الدول، ج٢، ص ٣٢٤ -٣٢٧؛ محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ج١، ق١، ص٥٨ – ٦٢.

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج٤ ، ص ٤ .

الدعاء للخليفة العباسى :

بطبيعة الحال فإن إحياء الخلافة العباسية كان لعبة سياسية غرضها ترميم صورة الشرعية السياسية للسلطة المملوكية عموماً ، وللسلطان الظاهر بيبرس بشكل خاص ، وفى الواقع فلم ينس سلاطين المماليك أن يستكملوا الصورة بالدعاء للخليفة العباسى ، فبعد إحياء الخلافة العباسية وحتى إن كانت مهام الخليفة مهام صورية وتشريفية إلا أن ذلك لم يمنع أن يُذكر فى الأدعية كشكل من أشكال البرتوكول المملوكى ، وبذلك فمنذ لحظة إحياء الخلافة جرت العادة بديار مصر أن يدعى على منابرها أيام الجمع وفي الأعياد للخليفة ويذكر كنيته ولقبه من حين المستعين بالله في أيام المعتضد ، وربما اختلفت صيغة الدعاء للخليفة فمن الخطباء من يقول :اللهم أصلح الخليفة من غير أن يعينه ومنهم من يقول: اللهم أيد الخلافة العباسية ببقاء مولانا السلطان ومنهم من يقتصر على الدعاء للسلطان[١] .

فعندما أثبت الملك الظاهر بيبرس نسب الخليفة العباسي أبو العباس أحمد أشرك له الدعاء في الخطبة لا غير ذلك[٢].

ومن النصوص في ذات المنحى أنه دعي للخليفة أمير المؤمنين المستعين بالله على منبر المسجد الحرام، بعد ما دعي له على ظهر زمزم، وفي كل جمعة على منبري مكة والمدينة، وعد من نوادره، فإنه لم يدع بها لأحد من الخلفاء الذين كانوا بمصر من بني العباس سوى المستعين هذا [٣].

على صعيد آخر ففى بعض الأحيان كان يتم قطع الدعاء للخليفة العباسى ، فعلى سبيل المثال في سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م) قطع الدعاء للخليفة بالحرمين ودعي للسلطان الملك المؤيد شيخ واستمر يدعى له بالصلاح قبل أن يدعى للسلطان نحو سنة ثم قطع من أجل أن الدعاء

(١) المقريزي: السلوك ، ج٤، ق١، ص٢٧٤؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج٥، ص٣٠٣

(٢) أبي الفدا: المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم، يحيى سيد، دخائر العرب ٦٩، دار المعارف، القاهرة، (د. ت)، ج٣، ص٢١٥

(٣) ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج٣، ص٢٤١

للخليفة بمكة لم يكن يعهد من بعد قتل الخليفة المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) فكان مدة الدعاء للخليفة بتلك الأماكن نحو خمسة أشهر[١].

أما المرحلة الفارقة فى الدعاء للخليفة العباسى فهو ما حدث من تطور سنة (٨١٦هـ/١٤١٣م) حيث قُطِع من الخطبة التصريح بالدعاء لبني العباس والكنية واللقب، واستمر العمل بذلك الأمر [٢] .

أدعية النصر :

النصر والدعاء متلازمان سواء فى العصر المملوكى أو فى أى عصر ، فالدعاء إما تمنياً لتحقيق النصر أو احتفاءً به ، وحسبما كشفت النصوص فقد كان الدعاء سبب للثبات والنصر على الأعداء، لذلك كان الدعاء للسلطان المملوكي حاضرًا للنصر على أعدائه والانتصار في المعارك[٣] كما كان ينادى في الجيش بطاعة السلطان والدعاء إليه[٤] .

وتشى العديد من النصوص على هذا الأمر فعندما أعلن بركة خان[٥] زعيم القبيلة الذهبية [٦] من المغول الفقجاق[٧] صهر الظاهر بيبرس إسلامه وشن الحروب على بني جلدته وأهله من مغول

---

(١) المقريزي: السلوك ، ج٤، ق١، ص٢٥١؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٢، ص٥١٩ ؛ ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج٣، ص٢٤٥

(٢) المقريزي : السلوك ،ج ٤، ق١ ،ص ٢٧٣، ٢٧٤؛ ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج٣، ص٢٦٣

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور،ج١، ق٢، ص٢٠٢ ، ٣٨٧ ، ٤٢٦

(٤) ابن حجي: تاريخه، ج٢، ص٣٢٣

(٥) بركة خان: بركة بن توشي بن جنكيز خان المغولي (ملك مغول الفقجاق)، وهو ابن عم هولاكو، ومملكته تفوق مملكة هولاكو من حيث الوجوه، وأسلم وراسل الظاهر بيبرس وكان يميل إلى المسلمين ويعظم العلماء والصالحين، وكان معه مساجد مثل الخيم تُحمل معه أينما ذهب، وله مؤذن ويُقام بها الصلوات الخمس، توفي سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٧٣، ٧٤.

(٦) القبيلة الذهبية : وهي قبيلة مغولية تضم الأقاليم الجبلية الواقعة بين البحرين الأسود وقزوين على ضفاف الفولجا، واتخذت سراي (صراي) عاصمة لها. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م ؛ ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر، مطبعة الواعظ، القاهرة، ١٩٠٦م ، ج٤، ص٤٥٧ .

(٧) القفجاق: أو القبجاق، هي فرع من الترك، مساكنهم الأصلية حوض بحر أرتش، وقد تنقلوا حتى استقروا بحوض نهر إتل (الفولجا) جنوب روسيا الحالية، فعرفت تلك الجهة باسم القبجاق كما عرفت به دولة المغول

فارس أعداء المسلمين، فتحالف الظاهر بيبرس مع صهره بركة خان لمجابهة مغول فارس وأمر الظاهر بيبرس بالدعاء له على منابر مكة والمدينة والقدس والقاهرة[١].

ومن النصوص الدالة على ذلك هذا المشهد المهيب الذى قام به العديد من سكان بلاد الشام عام (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) وذلك عندما دعا أهل الشام دعاءً جماعياً من يوم خرج السلطان المنصور قلاوون إلى لقاء المغول وهم يدعون الله تعالى فى كل يوم ويبتهلون إليه، وزاد المشهد جلالاً أنهم خرجوا بالنساء والأطفال إلى الصحارى والجوامع والمساجد، وأكثروا من الابتهال إلى الله، عز وجل، فى تلك الأيام بدون ملل ، وحسب تعبير أحد النصوص " حتى ورد عليهم هذا النصر العظيم، وطابت قلوب الناس، ورد من كان نزح عن بلاده وأوطانه واطمأن كل أحد وتضاعف شكر الناس لذلك ، وهلك من التتار خلق كثير غرقوا بالفرات عند عبورهم وأقام السلطان بدمشق إلى ثانى شهر رمضان خرج منه عائدا إلى الديار المصرية، وخرج الناس لوداعه مبتهلين بالدعاء له " [٢] ، وهو ما يوضح بشكل قاطع مدى حضور الدعاء فى مناسبات تمنى النصر أو الاحتفال به فى ذلك الوقت .

وكذلك عندما خرج السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالجيش المملوكى لبلاد الشام سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٨م) إلى جهة البلاد الشامية لقتال المغول ويبدو أن حالة الترقب قد أصابت أهل دمشق بالاضطراب فأخذوا فى الرحيل منها على وجوههم، وترك كثير منهم نساءه وأولاده ونجا بنفسه، فلم يأت الليل إلا وبوادر المغول فى سائر نواحى المدينة، وهنا يظهر السلاح الشعبى فحسبما عبر النص فبات الناس بدمشق فى الجامع يضجون بالدعاء إلى الله تعالى، وبعد أن رحل المغول من هذه المواضع [٣] ترامت أخبار النصر إلى عموم بلاد الشام ، وبعد أن رحل

المسماة باسم القبيلة الذهبية. النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص٣ هامش ٢؛ القلقشندي: صبح الأعشي، ج٤، ص٤٥١، ٤٥٦، ٤٦٧، ٤٦٨ .

(١) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤، ص٣٧٨-٣٨١؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص ٤٦٥؛ أحمد العبادي: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ١٧٤؛ سعيد عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٣٣٤؛ قيام دولة المماليك الأولي، ص٢٠٦؛ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي، ص١٨٥.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٧، ص٣٠٥ ، ٣٠٦

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٨، ص١٥٩

المغول عن دمشق تغيرت صيغ الدعاء من طلب النصر للابتهال والشكر لله سبحانه وتعالى على هذه المنة[١] ، وبذلك فإن القوى الشعبية لم تلق بالاً لأى ضغط عسكرى قامت به العساكر المصرية ، بل اقتصر تفسيرهم لأسباب النصر حول الدعاء واستجابته فقط وهو ما يفتح الباب بشكل كبير لفهم الذهنية الشعبية فى هذا العصر .

وفى ذات الإطار عندما تحالف الظاهر برقوق(الأولي ٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م)، (الثانية ٧٩٢-٨٠١هـ/ ١٣٨٩-١٣٩٨م) مع السلطان أحمد بن أويس(٧٨٤-٨١٣هـ/١٣٨٢-١٤١٠م)[٢] مسانداً إياه ضد تيمور لنك أعد الظاهر برقوق جيشاً كبيراً سافر به إلى بغداد، وبعد عدة معارك استطاع إيقاع جيوش تيمور لنك في وقعة وصفتها النصوص بالهائلة، وفرق شملهم، كان النصر فيها للجيوش المملوكية ، وردهم مغلولين عن البلاد، واسترد السلطان أحمد بن أويس بغداد[٣] نتيجة لذلك ، فعند ذلك أظهر السلطان أحمد شعار السلطنة المصرية ، وخُطب للسلطان الظاهر برقوق على منابر العراق والدعاء له[٤].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٨، ص١٦٣

(٢) السلطان أحمد بن أويس: هو السلطان غياث الدين أحمد بن أويس الجلايري، تولى الحكم في بغداد سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م ، وهو من سلالة المغول الذين اجتاحوا العراق، توفي مقتولاً سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م، وكان سفاكاً للدماء متجاهراً بالقبائح والمعاصي منهمكاً على الشرب والملذات، إلا أنه له مشاركة في عدة علوم كالنجوم والموسيقي. المقريزي: درر العقود، ج١، ص٢٢٨ -٢٤١؛ السلوك، ج٤، ق١، ص١٧١؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي،ج١، ص٢٤٨ -٢٥٦؛ العيني: السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد "شيخ المحمودي"، تحقيق فهيم محمد علوى شلتوت، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٣، ٢٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٤٤، ٢٤٥؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦م ، ج٩، ص١٥٠، ١٥١؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٣٢، ٣٣ .

(٣)ابن صصري: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ترجمة وليم م. برينز، كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، (د. ت)، ص١٥٨، ١٥٩؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٩٩ -٨١٧؛ درر العقود، ج١، ص٢٣٨ -٢٤٠؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص٤٧٢ - ٤٧٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٤٨-٥٧؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٩، ص١٥٠، ١٥١؛ حكيم عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص١٢٤ -١٢٨.

وأثناء خروج السلطان الأشرف طومان باي(٩٢٢-٩٢٣هـ/١٥١٦-١٥١٧م)[١] لمواجهة العثمانيين والسلطان سليم شاه (٩١٩- ٩٢٦ هـ/١٥١٣-١٥٢٠م)[٢] بالريدانية ، كان الدعاء سلاح العوام للدفاع عن وطنهم من الغزو العثمانى ، فقد خرج العوام لدعمه والدعاء له وارتفعت الأصوات بالدعاء للسلطان بالنصر على ابن عثمان[٣].

الدعاء وذهنية الاستبداد فى العصر المملوكى :

يرتبط الدعاء فى مصر والشام فى العصر المملوكى إرتباطاً غير مباشر بما يمكن أن نسميه بنية الاستبداد أو ذهنية الاستبداد فى هذا العصر ، بطبيعة الحال يمكننا أن نلاحظ مدى حضور هذه القضية فى ذهنية الحاكم ، وإيجاد العلاقة بين ما يمكن وصفه بممارسات استبدادية من بعض السلاطين وبعض كبار رجال الدولة وبين هذه الأدعية .

---

(١) السلطان الأشرف طومان باي: هو السلطان الأشرف أبو النصر طومان باي، كان من كتابية السلطان الأشرف قايتباي، اشتراه السلطان الأشرف قانصوه الغورى فعُرف بطومان باي من قانصوه، ثم أهداه للسلطان قايتباي فصار من جملة مماليكه، واستمر على ذلك حتى تولى السلطان الناصر محمد بن قايتباي السلطنة وظل يتنقل في أرفع المناصب، حتى أصبح مشرفاً على معظم وظائف الدولة ، وما لبث أن أتيح له توليته أيضا بعد السلطان الغوري ولكن رغماً عنه، لخوفه من غدر المماليك، وقد مات مشنوقاً على باب زويلة بعد دخول العثمانيين مصر وهزيمته سنة ٩٢٣هـ /١٥١٧م؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص١٠٢، ١٧٦، ١٧٧؛ ابن زنبل الرمال: آخرة المماليك ، ص١١٥، ٢٥٣،٢٥٤؛ عبد المنعم ماجد: طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر "دراسة للأسباب التى أنهت حكم دولة سلاطين المماليك في مصر"؛ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٢١ – ٥٢، ١٧١ – ١٧٨.

(٢) السلطان سليم شاه: الملك المظفر سليم شاه الأول ابن السلطان أبي يزيد، تولى الحكم سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م، تصدى لقتال السلطان الأشرف قانصوه الغوري في معركة مرج دابق وانتصر فيها، ودخل الشام وملك مدنها، ثم توجه للقاهرة فتلاقى مع الأشرف طومان باي وهزمه وملك مصر عنوة سنة ٩٢٣هـ /١٥١٧م. توفي سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م عن عمر يناهز إحدى وخمسين سنة، ودفن في قبره الكائن بجامعه باسطنبول، وكان يريد أن يقضي على المذهب الشيعي ونشر المذهب السني في العالم الإسلامي؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص١٥١، ١٥٢؛ محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٨٨- ١٩٧؛ يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت ١٩٨١، ج١، ص ٢١٣ – ٢٣٩.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٨ ؛ إيمان صلاح: نساء العامة ، ص١٥٥

لقد كان بعض السلاطين المماليك يخافون من قوة الدعاء واستجابته بل وعملوا على استجلاب الأدعية الصالحة خوفًا من دعاء الفقراء والبسطاء لما يقبلها الله تعالى من كل داع مخلص[١]، ولدينا العديد من النصوص ذات الدلالة على الخوف من الدعاء والحرص على دعوات البسطاء لهم:

ومن ذلك فقد حرص العديد من السلاطين على عدم سخرة العوام واستجلاب الدعاء ففى سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٧م) عزم السلطان الناصر محمد بن قلاوون على إقامة بعض الأشغال العمرانية وهى أن يجرى النيل تحت قلعة الجبل ويشق له من ناحية حلوان ، فبعث الصناع مع شاد العمائر إلى حلوان، فلم يعارضه فيه أحد إلا الفخر ناظر الجيش، فإنه قال : بمن يحفر السلطان هذا الخليج؟ قال : بالعسكر، قال :والله لو اجتمع عسكر آخر فوق العسكر السلطانى وأقام سنين ما قدروا على حفر هذا العمل، فإنه يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال، ثم هل يصح أولا! فالسلطان لا يسمع كلام كل أحد ويتعب الناس ويستجلب دعاءهم ، فرجع السلطان عن عمله[٢] ، وكأن السلطان قد تراجع عن قراره خشية دعاء الناس عليه .

ومن الجدير بالذكر فقد كان المقربون وبعض خواص السلطان يحذرون بعض السلاطين من عاقبة دعاء الناس عليه، فعندما أمر السلطان الناصر حسن بقطع ما استجد من الرواتب بعد أبيه الناصر محمد نصحه نائب السلطنة بالعدول عن ذلك حتى أرجعه عن ذلك وعرفه عاقبة دعاء الناس[٣].

وكذلك عندما أمر السلطان الناصر بقطع جوامك[٤] أولاد الناس[١] وجماعة المرتبين من ضعفاء وغيرهم، ثم خوفه الأمير بردبك عاقبة الدعاء عليه من الناس، فأعادها لهم[٢].

---

(١) النويري السكندري: الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الأسكندرية، تحقيق عزيز سوريال، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٧٠م ، ج٤ ، ص١٤٧

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٩، ص٩١

(٣) ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج١، ص١٥٠

(٤) جوامك: مفردها جامكية، وهي كلمة فارسية مركبة من (جامة) بمعنى قيمة، (كي) بمعنى أداة منه، وهي تعنى الرواتب المربوطة للشهر أو أكثر، وهي تعنى أيضاً الرواتب العامة. إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.، ص٤٧٦، ٤٧٧؛

ومن المفارقات العجيبة أن السلطة ذاتها فى مراحل معينة تقدم جانباً آخر مغايراً تماماً لما سبق وكأنها صورة من صور قلة الحيلة ومن المثير للسخرية أن السلطان المملوكية وصل فى بعض الأحيان لمرحلة من الضعف فلم يكن يملك إلا الدعاء على المماليك حيث لم تعد يده قادرة على البطش بهم وهو ما يعكسه بوضوح النص التالى " ففى سنة (٨٣٢هـ/١٤٢٨م) كلم الأمير سودون المحمدي[٣] مع السلطان الأشرف برسباي فيما يفعله مماليكه الجلبان بالمباشرين وغيرهم وينهبون بيوتهم، ووقع منهم فى دوران المحمل فى هذه السنة أمور شنيعة إلى الغاية، وتقاتلوا مع العبيد حتى قتل بينهما جماعة فماج الناس لذلك وغلقوا الأسواق وانتشرت الزعر وأهل الفساد، وتعوق مباشرو الدولة من النزول من القلعة إلى دورهم للخدمة السلطانية[٤] وخوفه عاقبة

Dozy: Supplement Aux Dictionnaires Arabes,Tome Premier, Leydn , 1881, P.168.

(١) أولاد الناس: هي طبقة مخصوصة من بلاط العصر المملوكي، شملت أبناء وبنات السلاطين والأمراء بدون عبودية، أبوهم كان مملوكاً ثم أصبح حراً فهم أحرار، وكان لهم دور هام في كافة أمور الدولة. انظر : طارق عبد الحميد: الجيش في العصر المملوكي(٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧ م)، دار كتابات، القاهرة، ٢٠١٢م ، ص٦١؛ محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق،١٩٩٠م.، ص٢٦؛ هاني حمزة: مصر المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٢٩٣؛ سعيد عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، دار الأحد، بيروت، ١٩٧٧م، ص٤١٩؛ نهلة أنيس: أولاد الناس بمجتمع عصر سلاطين المماليك، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٢٠-٣٥؛ إيمان صلاح: دور نساء البلاط في مصر في العصر المملوكي "٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٦م ، ص٢٤.

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج١١، ص٨٢، ٨٣ ؛ ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج٥، ص٤٢٢ ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢ ، ص٣٢٠ .

(٣) سودون المحمدي: يُعرف أيضا بإسم سودون أتمكجي ويعنى الخباز، ويعرف بالمؤيدى نسبة إلى أستاذه المؤيد شيخ، وقد صار بعد موت أستاذه خاصكياً، ثم استقر رأس نوبة الجمدارية في أيام الأشرف برسباي، ثم أمره الظاهر جقمق وجعله من جملة رؤوس النواب، ثم أمير آخور ثالث ثم ثاني، وقد توفي سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م، . انظر : السخاوي: التبر المسبوك، ج٢، ص٢٠١؛ الضوء اللامع، ج٣،ص٢٨٦.

(٤) الخدمة السلطانية: تعنى مثول الأمراء بين يدي السلطان لتقديم فروض الطاعة والولاء أو عرض أمر من أمور الدولة عليه. المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م ، ج٣، ص٥٣-٥٦؛ سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م ، ص٨٥، ٨٦؛ ماجدة الغمري: قلعة الجبل

ذلك، فقال له الملك الأشرف : قد عجزت عن إصلاحهم، ثم كشف رأسه ودعا عليهم جميعا بالفناء والموت سرا وجهرا[١] .

إن قضية ضعف قبضة السلطان وقلة حيلته لم تكن حالة فردية بل كانت تعبيراً عن مرحلة تاريخية ترهلت فيها قدرة السلطة ، وبناءً على ذلك فلم تصمت النصوص عن مثل هذه الحوادث التى يمكن تناولها وكأنها انعكاس لضعف القدرة السياسية آنذاك ، فعلى سبيل المثال نزل عدة من المماليك الجلبان سنة (٨٣٥هـ/١٤٣١م) من الطباق[٢] إلى بيت الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ[٣] يريدون الفتك به، وكان علم من الليل، فتغيب واستعد وهرب من بيته، فلم يظفروا به ولا بشىء فى داره، فعادوا بعد أن أفسدوا فيما حوله من بيوت جيرانه، وكان لهم من أيام الطاعون قد كفوا عن هذه الفعلة، فبلغ السلطان نزولهم فغضب وأخذ فى الدعاء عليهم أيضا بالفناء والوباء[٤].

فـي عصـر سـلاطين المماليـك، رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة، كليـة الآداب، جامعـة القـاهرة، ٢٠٠٧م ،ص٣٠، هامش ٦.

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٤، ص٣٢٦ ، ٣٢٧

(٢) طباق: هي وحدة سكنية مستقلة وقد تكون الوحدة صغيرة وهو ما يعبر عنها في النصوص بـ "طبقة لطيفة" وتشتمل عادة على إيوان ودور قاعة وطاقات وكرسي خلا ومنافع ومرافق وحقوق وقد تكون الطبقة أكثر من ذلك، وقد تكون الطبقة أشبه بالمنزل المستقل تتكون من دورين وسلم داخلي، وقد يحتوى المبني الواحد على العديد من الطباق متطابقة أو متلاصقة لكل منهما منافعها، والطباق يشتمل على عدة أنواع منها الطباق الدينية الملحقة بالخوانق والأربطة وغيرها من المنشأت الدينية، ومنها الطباق الحربية الملحقة بالحصون والقلاع وأشهرهم طباق القلعة المخصصة لإيواء المماليك السلطانية. محمد أمين، وليلى إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠م.، ص٧٥، ٧٦.

(٣) الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ: كريم الدين عبد الكريم بن تاج الدين عبد الرازق المعروف بالوزير كريم الدين بن كاتب المناخ، حيث تولى الوزارة من (٨٢٦-٨٣٨هـ/ ١٤٢٣-١٤٣٤م)، توفي سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م. المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٤٥، ٨٠٢؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص٢٢، ٤٠، ٩٨؛ محمد الأشقر: الوزارة والوزراء في مصر عصر سلاطين المماليك، تاريخ المصرين ٢٨٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م ، ص١٤١.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٤، ص٣٥٦

وتكرر هذا الأمر أيضاً مع السلطان الأشرف برسباي تغير على المماليك السلطانية الجلبان ودعا عليهم [١].

ومن المشاهد بالغة الدلالة أن أحد الشيوخ قال للأمراء سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م) بعد هزيمتهم أمام العثمانيين "إن الله تعالى ما كسركم وأذلكم وسلط عليكم ابن عثمان إلا بدعاء الخلق عليكم في البر والبحر" فرد عليه الأمراء " تبنا إلى الله تعالى عن الظلم من اليوم".[٢]

لدعاء صرخة العوام :

يمكن القول أن استراتيجيات المعارضة لدى العوام متعددة ومبتكرة وغير متوقعة ، هذا وقد تبارت العديد من الطروحات فى تفكيك هذه الإشكالية ، فحسب إحدى الدراسات البالغة الأهمية فإن العوام لا يتجاسرون على مقاومة أحكام رضوخهم علناً ، إلا أنهم على ما يحتمل ينشئون سراً مجالاً اجتماعياً يمكن فيه أن يعلنوا معارضتهم خارج المسرح للتراث الشعبى الرسمى القائم على علاقات القوة [٣] ، أو يمكن إستعارة تعبيرات أخرى من ذات الدراسة بأن واحداً من المهام الثقافية الرئيسية التى تجابه الجماعة المقموعة هى تلك التى تكمن فى نسف أو تفجير كل ما من شأنه أن يبرر عملية الفرز المهيمن [٤]

وفى واقع الأمر فقد شكل الدعاء على السلطان المملوكى صرخة غضب واستياء ومعارضة من طبقات المجتمع وخصوصاً عوامهم ، وربما يمكن إستعارة تعبير إحدى الباحثات النابهات بقولها " لقد كان الجهر الجماعى بالدعاء على ظالم أو مظلمة نداء لا تخطئه الأذن للتحرك يجمع المؤمنين وأهل المدينة حول قضية معينة" [٥] .

وحسب تحليلات أخرى فإن الفسحات الاجتماعية التى ينمو فيها الخطاب المستتر هى تلك الأماكن التى يحدث فيها للرد الذى لم يلفظ ، والغضب المكتوم ، والألسنة المقموعة من جراء استشراء علاقات السيطرة ، أن تعثر على تعبيرها القوى والطليق ، ويبقى أن الخطاب المستتر

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٥، ص١٠٣

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور، ج٥، ص٨٦.

(٣) جيمس سكوت : المقاومة بالحيلة ، ص ٩ .

(٤) جيمس سكوت : المقاومة بالحيلة ، ص ١١٨ .

(٥) أمينة البندارى : عوام وسلاطين ، ص ٢٥٣ .

تعبيره الفصيح داخل حيز اجتماعى مصادر تكون فيه الرقابة والسيطرة والقمع التى يمارسها الحاكم أقل قدرة على الوصول ، وثانيهما أن يكون هذا الوسط الاجتماعى المصادر مؤلفاً بكامله من إناس موثوقين يتشاطرون خبرات السيطرة نفسها فيما بينهم بكل حرية ، أما الشرط الثانى فهو الذى يضمن لهم أن يكون لديهم وسط مناخ خضوعهم المشترك شىء يتحدثون عنه [١] .

إن التذمر أو الغمغمة شكل من الشكوى المقنعة ، والقصد من التذمر عامة هو إبداء إحساس عام بالاستياء من غير تحمل مسؤولية الشكوى العلنية المحددة ، وقد يكون واضحاً من الإطار وضوحاً كافياً للمستمع ما هى الشكوى ، لكن الشاكى يتجنب بواسطة التذمر صداماً ، وهو يستطيع إذا اضطره الأمر أن يتنصل من أنه يتقصد الشكوى [٢] .

والجدول التالى محاولة لإسقاط الضوء حول هذه الظاهرة والمعارضة شبه المكتومة من الناس تجاه السلطان ، معظمها يدور فى الاستياء من قطع الأرزاق وثقل الضرائب وبعض السياسات التى تعارضت مع جودة حياتهم وذلك على النحو التالى :

[١] جيمس سكوت : المقاومة بالحيلة ، ص ١٥٢ .

[٢] جيمس سكوت : المقاومة بالحيلة ، ص ١٨٩ .

جدول رقم (١)

الدعاء على السلطان المملوكى وأسبابه[١]

السنة	الدعاء	السبب	المصدر
(٧٤١هـ/١٣٤٠م)	منها الدعاء على رجال الدولة بسبب قطع المرتبات والنفقات وأراضي الرزق[٢] وفرض الضرائب كتبت أوراق بأرباب المرتبات الذين على مدينة بلبيس وبساتينها وحوانيتها وأوراق بمتحصل المعادي ببولاق وأوراق بجهات النطرون وأوراق بأسماء الأجناد المقطعين على الحكورة، فرسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن يوفر الجميع وأن يؤخذ من الجند المقطعة على الحكر[٣] أخبارهم وينعم بها على الأمير ألطنبغا الماردينى[٤]	**قطع الأرزاق**	المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ج٤، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، ط٣، مطعبة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م ، ج٢ ، ق٢ ، ص٥١٩

(١) تأثر الباحث بإحدى الدراسات الرصينة التى استخدمت هذا المنهج فى عرض النصوص التاريخية من خلال الجداول وهى دراسة أسامة السعدونى جميل : ظاهرة التضخم الاقتصادى فى العصر المملوكى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٢١ .

(٢) أراضي الرزق: هي الأراضي أو الأطيان التى يعط السلاطين انتاجها إلي بعض الناس بمقتضي حجج شرعية على سبيل البر والإحسان عن كل فدان، من زراعة القمح أو الفول أو الشعير عشرة دراهم، وعن الفدان من القصب أو النيلة أو غيرها من القطاني مائة درهم، وجبي من البساتين عن كل فدان مائة درهم. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٦١٩، ٦٢٠؛ البيومي إسماعيل: مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية "عصر سلاطين المماليك"، تاريخ المصريين ١١٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م ، ج٢، ص٩، هامش ٨؛ محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر،(٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م ، ص١٠٨، ١٠٩.

(٣) الحكر: هو الأرض الممنوعة من البناء لصالح أشخاص بعينها. المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٦٢٧، ٦٢٨؛ زبيدة عطا: اليهود وتجارتهم في مصر الإسلامية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص١٠٩.

(٤) الأمير ألطنبغا الماردانى: اشتراه السلطان الناصر محمد بن قلاوون صغيرا ورقاه، وأصبحت مكانته عند ابن أستاذه السلطان المنصور أبى بكر أعظم مما كان عليها، ثم أخرج في دولة الصالح إسماعيل إلى حماة نائباً

	ليكون وقفًا على جامعه خارج باب زويلة وعلى الأمير بشتاك[١] ليكون وقفا على جامعه المطل على بركة الفيل، فلما تم عرض الأجناد قطع السلطان الناصر منهم الزمنى والعميان والضعفاء وأرباب العاهات وفرق إقطاعاتهم على المماليك السلطانية وأخرج بعضها للوافدية الذين يفدون من البلاد فاشتد ذلك على الناس **وكثر الدعاء على السلطان** بسبب قطع أرزاق الجند .		
٧٤٦هـ- ٧٤٧ هـ /١٣٤٥-١٣٤٦م)	سار السلطان الملك الكامل شعبان [٢] فى جمع كبير من العامة **وهو يسألهم الدعاء فأسمعوه مالا يليق، ودعوا عليه** بسبب سوء تصرفته .	**سوء السياسات** .	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق حسين نصار، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية،

عليها سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م ثم نقل إلى نيابة حلب وظل بها حتى وفاته سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣ م، عمر جامعاً حسناً بالتبانة. للمزيد انظر. الصفدي: أعيان العصر، ج١، ص٦٠٤ – ٦٠٧؛ الوافي بالوفيات، ج٩، ص٢٠٩، ٢١٠؛ المقريزي: المقفى الكبير، ج٢، ص ٢٨٤، ٢٨٥؛ الخطط المقريزية، ج٣، ص٣٠٠؛ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج١، ص٤٠٩ .

(١) الأمير بشتاك: هو الأمير سيف الدين بشتاك بن عبد الله العمري، كان واحداً من خواص السلطان الأشرف شعبان بن حسين ومقرباً لديه، توفي سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م بالقاهرة . انظر : ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج١، ص٤٧٧؛ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص٣٧٢؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٩٢؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١٠٣.

(٢) الكامل شعبان: هو السلطان الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون، تولى أمور السلطنة سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) بعد أخيه السلطان الصالح إسماعيل،كان الأمراء يهابونه ولكنه أقبل على اللهو والنساء وتحصيل الأموال فثار عليه الأمير يلبغا اليحياوي بدمشق فلما بلغ الكامل شعبان ذلك جهز جيشه فثار ما بقي من الأمراء بالقاهرة وخلعوه سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) وقبضوا عليه وكان آخر العهد به. الصفدي: أعيان العصر، ج٢، ص٥٢١ –٥٢٤؛ الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٨٩، ٩٠؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج٢، ص١٨٥ –١٩٠؛ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج١، ص١٩١، ١٩٢ .

			القاهرة، ٢٠٠٥م ،ج١٠، ص١٣٨ ، ١٣٩
(٧٤٦هـ/١٣٤٥م)	اشتد الأمر على الناس بمصر والشام من كثرة السخرة، **فكثر دعاؤهم على السلطان** الكامل شعبان.	**السخرة .**	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص١٣٤
(٧٥٢هـ/١٣٥١م)	أحدث مكاسا يقال له الفار مظالم كثيرة وكان مقربا من السلطان الناصر حسن وصار يتقرب إليه بأذى **فكثر الدعاء على السلطان** وتغيرت خواطر الأمراء عليه .	**ثقل الضرائب وإستغلال القرب من السلطان .**	ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨م،ج١، ق١، ص٥٣٧
(٧٧٥هـ/١٣٧٣م)	تم قطع أرزاق ورواتب البعض (فجملة المتوفر نحو سبعمائة ألف درهم في كل سنة فشق ذلك على الأمراء وكرهوا قطع الأرزاق وتشاءموا بهذا الفعل واشتهر ذلك بين الناس فتنكرت قلوبهم **وكثر دعاؤهم وابتهالهم إلى الله تعالى** .	**قطع الأرزاق .**	المقريزي: السلوك ، ج ٢، ق٣، ص٩٢١
(٨١٤هـ/١٤١١م)	أمر السلطان الناصر فرج بهدم مدرسة السلطان الأشرف شعبان وأمر أيضا بهدم الدور التي كانت ملاصقة لسور القلعة ما بين الصوة وتحت الطبلخاناه إلى قريب باب القرافة فهدمت وصارت خرابا موحشة وتشتت سكانها وتمزقوا **وألسنتهم تضج بالدعاء عليهم .**	**هدم مدارس ومساكن .**	المقريزي: السلوك ، ج٤، ق١، ص١٨٤
(٨٣٧هـ/١٤٣٣م)	قطع السلطان الأشرف برسباي رواتب جماعة كثيرة وكانت على ديوان المفرد والدولة ما بين لحم وقمح وجوامك للفقهاء والمتعممين **فكثر الدعاء على**	قطع الأرزاق .	ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢، ص١٥٦

	السلطان بسبب ذلك .		
٨٧٢هـ/١٤٦٧م)	ابتدأ السلطان الظاهر يلباى بالنفقة على المماليك السلطانية لكل واحد مائة دينار، ففرقت هذه النفقة على أقبح وجه، وهو أن القوى يعطى والغائب يقطع، والمسن يعطى نصف نفقة أو ربع نفقة، ومنع أولاد الناس والطواشية[١] من الأخذ، وعاداتهم أخذ النفقة، فأحدث الظاهر يلباى هذا الحادث، **وكثر الدعاء عليه بسبب ذلك**، وتفاعل الناس بزوال ملكه لقطعه أرزاق الناس، فكان كذلك .	**عدم المساواة فى الأرزاق – قطع الأرزاق** .	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،ج١٦، ص٣٨٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٦، ص١٣٨٠، بن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج٦، ص٣٠٠ ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٤٧٠
(٨٩٦هـ/١٤٩٠م)	قام السلطان الأشرف قايتباي بقطع جوامك الكثير من الجند ونحو من ثمانين شخصا من الشيوخ والعجائز والضعفاء فكثر دعاء الناس عليه بسبب ذلك ، **وتكرر دعاؤه على نفسه بالموت .**	**قطع الأرزاق** .	السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م. ، ج٦، ص٢٠٥ ؛ ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣، ص٢٧٧ .
(٩٢١هـ/١٥١٥م)	**كثر الدعاء من بعض المماليك على السلطان** الأشرف قانصوه الغوري بسبب منعهم له من النفقة سنة .	**قطع الأرزاق** .	ابن إياس : بدائع الزهور، ج٤، ص٤٤٤
(٩٢٢هـ/١٥١٦م)	لم يعط السلطان الأشرف قانصوه الغوري النفقة على العسكر وأمرهم	**الاضطرابات الأمنية** .	ابن إياس : بدائع الزهور،

(١) الطواشية: الطواشي هو الخصي من الآدميين، وهي فى الأصل لفظ تركية أصلها بلغتهم طابوس، بباء موحدة قبل الواو، فحرفها العامة وقالوا طواشي، يقال أن الخصي ليس برجل ولا امرأة، وأخلاقه مقسمة بين أخلاق النساء وأخلاق الصبيان، ويعتبر نفسه رجلاً بين النساء. لذلك فكانوا من الخدم الخصيان الموكلين بخدمة نساء البلاط من زوجات وسراري. مصطفي دويدار: أمراء الطواشية فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول، دار العالم العربى ، القاهرة، ٢٠١٧ ، ص١٦٩– ١٧٣ .

	بالاستعداد للسفر بعد أيام فاضطربت أحوال العسكر وارتجت القاهرة وعز وجود الخيول والبغال وهجم العسكر على الطواحين فغلقت الطواحين وامتنع الخبز والدقيق من الأسواق وغلقت أسواق القماش من المماليك واختفى التجار خوفا منهم ووقع القحط بين الناس **فكثر الدعاء بينهم على السلطان** وصارت أحوال مصر مثل يوم القيامة كل واحد منهم يقول "روحي روحي" .		ج٥، ص٢٨

إذن فنحن أمام نصوص تاريخية لا تقبل التأويل ذكرت صراحة أنه تم الدعاء على السلطان ، وبمراجعة بسيطة للجدول السابق نجد أن هناك أسباباً معينة جالبة للدعاء على السلطان أبرزها قطع الأرزاق ، وثقل الضرائب وسوء السياسات وهدم المساكن والدور والاضطرابات الأمنية ، وهى بالطبع الحاجات الأولية للحياة كما يتمناها العوام فى تلك الفترة التاريخية .

الدعاء على رجال السلطة :

كان الدعاء على رجال السلطة إحدى أوجه صور مواجهة الظلم الذى تعرض له العوام ، وكأن الدعاء بمثابة صرخة المستضعفين للتعبير عن أوجاعهم ومظالمهم ، وحسب إحدى الباحثات " قد عبر بعض المؤرخين عن استيائهم من سياسات الدولة بشكل غير مباشر عن طريق عبارات من قبيل لله الأمر من قبل ومن بعد ، أو لاحول ولاقوة إلا بالله يختمون بها رواياتهم عن بعض المظالم أو الفظائع التى يرتكبها موظفو الدولة والأعباء التى يئن تحت نيرها عامة الناس ، فمثل تلك العبارت توحى بالانتقاد مع إيحائها فى الوقت نفسه ضمنياً بأن المرء ليس أمامه سوى أن يلتجأ إلى الله ويصبر محتسباً وتنقل الباحثة إحدى الروايات التى يختتم بها

النص حديثه عن مظالم رجال الدولة وجورهم على المؤمنين حيث دعا عليهم قائلاً " والله أسأل أن يهلك الظالمين والساعين عندهم – أى عند السلاطين – فى أذى المسلمين " [١]

إذن فقد كان الدعاء على رجال الدولة من أمراء وولاة بسبب ظلمهم وسوء خلقهم وتعسفهم كموسى بن التاج إسحاق الذي كثر دعاء الناس عليه، لظلمه وعسفه فعُزل عن نظر الدولة سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م)[٢].

بالإضافة إلى ما سبق فقد تمتع الأمير قرقماس الجلب[٣] بصفات سيئة وصفتها النصوص بأنه كثير الكبر والزهو والإعجاب وفرط الرقاعة على جانب كبير مع العسف والجبروت وشدة البطش ، ومن ممارساته أيضاً أنه إذا عاقب يضرب الألف ضربة فأقامت العامة تدعو عليه، حتى قبض عليه سنة (٨٤٢هـ/١٤٣٨م) وخرج في الحديد حتى سجن بالإسكندرية ، ويبدو أن العوام لم يكتفوا بهذه النهاية المأساوية بل تشفوا فيه بشكل مبالغ ، حيث أسمعوه في مروره من القلعة إلى النيل من العامة مكروها كثيرا ، ويعبر النص ببلاغة قائلاً " وحل به في هذه المحنة نكال شديد وخزى زائد فعوقب من جنس فعله وصار مع ذلك مثلا فلقد أقامت العامة مدة تجهر في الأسواق بقولها لمن تدعو عليه لك ذلة قرقماس" [٤] وكأن الدعاء على قرقماس صار يضرب به المثل ، وهو الأمر الذى له دلالة كبيرة فى هذا السياق .

لدينا فيض من الروايات التى يمكن استحضارها فى هذا السياق ، وأسماء متعددة أيضاً أصابتها هذه الدعوات مثل ما حدث مع الأمير علاء الدين على بن الطبلاوي الذي طلب أرباب

---

(١) أمينة البندارى : عوام وسلاطين ، ص ١٦١ والتى تليها .

(٢) المقريزي: السلوك ،ج ٢، ق٣ ، ص٦٧٢ ، ٦٧٣ ؛ ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج١ ، ص١٠٤

(٣) الأمير قرقماس الجلب: هو الأمير سيف الدين قرقماس من يشبك خجا الأشرفي، كان واحداً من مماليك السلطان الأشرف برسباي ومن أقاربه، وهو الذى جلبه من بلاده فلما حضر جعله خاصكياً ، ولهذا سُمي بالجلب، وصار في عهد السلطان المنصور عثمان بن جقمق من مقدمي الألوف ثم أمير رأس نوبة النوب في عهد الأشرف إينال وظل يتنقل في العديد من مناصب الدولة منها أمير مجلس وأمير سلاح، قُتل سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م. الصيرفي: إنباء الهصر، ص١١١، ١١٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٢١٨؛ ابن شاهين الحنفي: الروض الباسم، ج٤، ص١٥٧، ١٥٨؛ نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٣٣٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٣٤، ٣٥.

(٤) المقريزي: السلوك ، ج٤، ق٢، ص١٠٩٦

الأموال بدمشق وطرح عليهم السكر الحاصل من الأغوار فتضرر الناس من سياساته ، فتنكرت القلوب على النائب بهذا السبب وكثر الدعاء عليه[١] .

بالإضافة إلى ما سبق ففى سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) أرسل الملك الظاهر برقوق الأمير تتم الحسني[٢] لتحصيل الأموال المتعلقة بالسلطنة في البلاد الشامية، فتسلمه علاء الدين الطبلاوي واستصفى جميع ما معه من مال وغنم وغير ذلك، ثم بسط يده في الظلم والمصادرة ورمي السكر وغيره على التجار وذوي الأموال حتى الفقهاء والأيتام، فكثر الدعاء على الأمير تتم بهذا السبب ، ويبدو أن جميع طبقات المجتمع قد اجتمعوا على كراهيته بشهادة النص حيث قال " وأبغضته عوام الناس والأمراء وخواصهم " [٣].

كذلك كان فخر الدين بن مكانس واحداً ممن أصابتهم دعوات المصريين ، فقد وصفته النصوص بأنه كان أهوج شديد الجور فأحدث العديد من المظالم ، ومن هذه المظالم أنه توجه بنفسه إلى بركة الحاج وضيق على الحجاج وفرض مكوساً على جمالهم الأمر الذى تضرر منه الحجاج بشكل بالغ ، وهو أول من أحدث ذلك، ومن المظالم التى أحدثها أيضاً ما يتعلق بالتجار فقد بلغه أن بقيسارية جهاركس[٤] كثيرا من القماش بغير ختم فأغلقها في ليالي العيد ثمانية أيام

---

(١) المقريزي: السلوك ، ج٣، ق٣، ص٩٨٤

(٢) تتم الحسني: هو الأمير سيف الدين تتم الحسني الظاهري، اسمه تنبك، لكنه عُرف بـ تتم، من مماليك السلطان الظاهر برقوق، الذى اشتراه وأعتقه، وقد تنقل في خدمته إلى أن ولاه نيابة دمشق في عهده الثاني بعد وفاة الأمير كشبمغا الخاصكي، وقد حضر إلى مصر سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م لزيارة السلطان الظاهر، ظل تتم في منصبه حتى آلت السلطنة إلى الناصر فرج بن برقوق فشق عليه عصا الطاعة في سنة ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م، وانضم إليه الأمير أيتمش البجاسي في القاهرة، وكل من نواب حلب وحماه وطرابلس، وعددٌ من الجند والولاة، ووقعت بينهم عدة وقائع، انتهت بانكسار الأمير تتم ، وقبض عليهم السلطان الناصر فرج وسجنهم، وظل بمحبسه، حتى تم قتله خنقاً بأمر من الناصر فرج سنة ٨٠٢هـ / ١٣٣٩م. انظر : ابن الحمصي: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق: عبد العزيز فياض حرفوش، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١، ص١٠٠؛محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ج١، ق١، ص١٩٢، ١٩٣.

(٣) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٢، ص٩٢

(٤) قيسارية جهاركس: بناها الأمير فخر الدين جهاركس سنة٥٩٢هـ/١١٩٥م، وكانت قبل بنائها يعرف مكانها بفندق الفراخ. ابن عبدالظاهر: الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦ م ، ص ٢٤، ٣٤؛ المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص ٥٦٠؛ أحمد العبادي:

ففاتهم الموسم الذى يكثر فيه البيع والشراء ، وبناءً على كل ما قام به والتضييق على أرزاق الناس وكثر دعاؤهم عليه [١].

وينضم إلى قائمة من نالوا نصيبهم من الدعوات السلبية الأمير يلبغا السالمي [٢] الذي جهز عسكرا إلى دمشق لقتال تيمورلنك فشرع في تحصيل الأموال وفرض على سائر أراضي مصر فرائض فجبي من إقطاعات الأمراء وبلاد السلطان وأخبار الأجناد وبلاد الأوقاف عن كل ألف دينار خمسمائة درهم ثمن فرس ، كما أنه جبى أموالاً إضافية من سائر أملاك القاهرة ومصر وظواهرها أجرته عن شهر ، وبلغت وطأته على الناس أنه كان يقوم على الإنسان في داره التي هو يسكنها ويأخذ منه أجرتها، كما جبي من الرزق عن كل فدان من زراعة القمح أو الفول أو الشعير عشرة دراهم وعن الفدان من القصب أو القلقاس أو النيلة – ونحو ذلك من القطاني – مائة درهم وجبي من البساتين عن كل فدان مائة درهم، كما استدعي أمناء الحكم والتجار وطلب منهم المال على سبيل القرض ، ولم يتوقف عند هذا الأمر بل صار يكبس الفنادق وحواصل الأموال في الليل فمن وجد صاحبه حاضرا فتح مخزنه وأخذ نصف ما وجده من نقود القاهرة وهي الذهب والفضة والفلوس، وإذا لم يجد صاحب المال أخذ جميع ما يجده من النقود، وأخذ ما وجد من حواصل الأوقاف ، كل هذه الممارسات كانت كفيلة بصب دعوات

قيام دولة المماليك الأولى، ص٩١؛ الشيخ الأمين عوض الله: أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين ٢٩٥، القاهرة، ٢٠١٤م ، ص١٧٤.

(١) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص١٧٧

(٢) يلبغا السالمي: سيف الدين أبو المعالي يلبغا بن عبد الله السالمي الظاهري، أصله من أتراك أهل سمرقند، وكان اسمه يوسف ببلاده وسبي في موقعة سمرقند وجلبه الخواجا السالمي إلى مصر فعرف به فاشتراه السلطان الظاهر برقوق وأعتقه ورقاه وجعله خاصكيا ثم ولاه نظر الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء، ثم جعله أمير عشرة، وعند مرض الظاهر برقوق الأخير جعله من جملة أوصيائه، فقام من بعد موته بتحليف الأمراء والمماليك السلطانية لولده الناصر فرج، فأخلع عليه بالاستدارية قتل سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م.المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٨٨ ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١٢، ص١٧٤–١٧٨ ؛ الدليل الشافي، ج٢، ص٧٩٤، ٧٩٥ ؛ النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٧١ ؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٨٩.

الناس عليه وهو ما عبرت عنه النصوص بقولها " فاشتد الضرر بذلك فنفرت القلوب عنه وتمالت الناس عليه، وشنعت القالة فيه، وكثر دعاء الناس على السالمي" [١].

كما كان الناس يدعون على الأمير إياز لظلمه لهم لا سيما التجار وأصحاب الصنائع[٢] ، وكان العلامة محمد بن المخرومي البامي يحث الناس بالدعاء عليه سيما أنه ضيق الحال حاد الخلق غير منصفٍ[٣]، وتاج الدين أحمد بن الغنام الذي باشر ديوان الجيش والخاص وغيرهما ولم يحمد بل كثر الدعاء عليه[٤] .

وكان العوام بل والسلطان نفسه كما مر بنا ، لقد أثار المماليك الجلبان فى مناسبات متعددة استياء العديد من العناصر السكانية ، فعلى سبيل سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م) حدث ضرر بالغ على الكثير من الناس حيث يبق أحد من المماليك إلا وارتدى ملابس القتال ووقف على باب النصر وأخذوا دواب الناس ليحمل عليها الأمتعة السلطانية وكبسوا الإصطبلات والبيوت والبساتين يأخذونها فإن الجلب انقطع من جميع الأشياء ، وبالطبع فقد أثر هذا المناخ المضطرب على الأحوال الاقتصادية فكثر الدعاء عليهم[٥].

ومن النصوص الهامة (سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م) كان قتل شهاب الدين أحمد بسبب ظلمه والأهم بسبب تعرضه للأقوات ، ليس هذا فحسب بل قام بإذلال الفقهاء لدرجة أنه أمعن فى أذاهم وإذلالهم بالضرب والحبس والتراسيم، كما أنه قطع مخصصات جماعة كبيرة من الطلبة المرتبة على الأوقاف الجارية تحت نظره، ولقى الناس منه شدائد كثيرة، ليس هذا فحسب بل وصل به الأمر بأن منع المرضى من دخول البيمارستان للتمرض به إلا برسالة، ثم يخرج المريض بعد أيام قليلة ، لقد بلغ شهاب الدين مبلغاً صعباً من الظلم للناس وهو ما انعكس فى النصوص التى أرخت لهذا الأمر فقالت " وأظهر فى أيام عزه وولايته من شراسة الخلق وحدة المزاج والبطش

---

(١) المقريزي: السلوك ، ج٣، ق٣، ص١٠٥٣ ؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١ ، ص٢٩٧ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٢، ص٢٤٨ ؛ ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج٤، ص٩٦.

(٢) ابن حجي: تاريخه، ج١، ص١٨٧

(٣) السخاوي: وجيز الكلام ، ج٣، ص١١٥١

(٤) السخاوي: وجيز الكلام ، ج١، ص٧٩

(٥) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٢، ص٤٥٨؛ ابن حجي: تاريخه، ج٢، ص٩٦٠

وبذاءات اللسان حتى نفرت القلوب منه ولم يحتمل العامة منه ذلك وارتفع أصواتهم بالدعاء عليه حتى بعض الناس يدعون عليه فى الملتزم بالبيت العتيق فى هدوء الليل ، بل وصعدوا المنابر فكبروا وأعلنوا ثم ذهبوا له وضربوه ضربا مبرحا وأدموا رأسه وتوفى[١]، فخاف أخوه زين الدين الاستادار على نفسه وحاوط نفسه بالزعر[٢] والمماليك ومع هذا لم يسلم منهم من السب واللعن والدعاء عليه في غالب الأماكن التي يمر بها بل أرادوا رجمه[٣].

كما كانت ممارسات كبار المماليك وأتباعهم وعدم مراعاة أحوال الناس واحدة من الأمور التى استجلبت دعوات المصريين ، فعلى سبيل المثال فى سنة (٨٨٩هـ/١٤٨٤م) خرج الأمير تمراز أمير سلاح[٤] من القاهرة ومعه عدد من الأمراء والمماليك والجند، ولكن كثر دعاء الناس عليهم لما وقع منهم الأذى[١].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٥، ص٥٥٧؛ السخاوي: التبر المسبوك ، ج٣ ، ص٤٧

(٢) الزعر: الزعارة: شراسة الخلق ورجل زعرور سيء الخلق ورجل زعير: قليل المال وأهل الزعار: العيارون الذين يترددون بلا عمل، ويخلون النفس وهواها. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د. ت) ، ج٤، ص٢٨٦، ٣٢٣؛ البقاعي: إظهار العصر ، ج١، ص٣٢٤، هامش١؛ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م ج٢، ص٦٥٨، ٦٦٣، ٦٧٠؛ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالفتاح الحلو، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٨٦م ، ج١١، ص٢٠١، ٢٧٠ –٢٧٣؛ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٢٨٨؛ محمد رجب النجار: حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٤١م، ص٨، هامش ١؛ كريمة محمد: المفهوم اللغوي للعامة، بحث منشور بكتاب ثقافة الفقراء "دراسة في بنية وجذور الثقافة المصرية"، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٤٩، ٥٠؛ رشا فؤاد محمد حسن النمكي: الزعر والحرافيش في مصر في العصر المملوكي "٦٤٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٢م، ص١٥، ١٦.

(٣) السخاوي: التبر المسبوك ، ج٣ ، ص٤٨

(٤) أمير سلاح: هو الذي يتولى أمر مخازن الأسلحة للسلطان أو الأمير، له دور رئيسي في المراسم السلطانية، إذ كان يتولى حمل سلاح السلطان في المجامع العامة. العمري: مسالك الأبصار،ج٣،ص٣٠٨؛ القلقشندي: صبح الأعشي، ج٤،ص١٨؛ ضوء الصبح، ص٢٤٦؛ ابن كنان: حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء

وعلى جانب آخر فعندما تولى الأمير كرنباي الأحمر(٩٠٣-٩٠٤هـ/١٤٩٧ -٤٩٨م)[٢] نيابة الشام وخرج إليها أخلع السلطان الناصر محمد بن قايتباي(الأولي٩٠١-٩٠٢هـ/١٤٩٦-١٤٩٧م)، (الثانية ٩٠٢-٩٠٤هـ / ١٤٩٧-١٤٩٨م)[٣] سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) على محمد بن العظمة وأعاده إلى نظر الأوقاف، وكان الساعي له عبد القادر بواب الدهيشة، فكثر عليه الدعاء من الناس بسبب ذلك ، وضج منه الناس وشكوه للسلطان حتى عزله ونفاه إلى قوص[٤].

إذن فإن كل ما سبق لا يمكن أن يخرج بحال عن تماس ظاهرة الدعاء مع بنية الاستبداد والشعور بالظلم ، وقطع الأرزاق وثقل الضرائب إبان فترة الدراسة .

والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، ١٩٩١م ، ص١١٥؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٢١٢؛ محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص٢٠؛ عبد العزيز عبد الدايم: تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك، بحث منشور بمجلة المؤرخ المصري، القاهرة، العدد ٣، يناير ١٩٨٩ م ، ص١٤٢،١٤١.

(١) ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج٧ ، ص٣٧٧

(٢) كرنباي الأحمر: كرنباي بن مصطفى المعروف بالأحمر، كان في بداية الأمر دويداراً، ثم تولى الوزارة والأستادراية وكاشف الكشاف علاوة على ما كان عليه من تقدمة ألف سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م، وأصبح هو المتحكم في غالب أمور الدولة، ، أبطل عدة مكوس ومظالم، فأحبه العامة، ثم أستعفي من الوزارة والإستادارية و تولى نيابة الشام سنة ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م، ويُقال أن السلطان الناصر محمد بن قايتباي عمل على قتله، فقيل إن بعض غلمانه وضع له السم في زيق الكوفية مات سنة ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م، وكان أميراً جليلاً. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص١٩٩، ٣٣٦، ٣٨١، ٤٠٦ .

(٣) الناصر محمد بن قايتباي: تولى السلطنة بعد أن خلع أبيه نفسه منها سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م، وكان له من العمر أنذاك أربعة عشر سنة، وقد نازعه خاله قانصوه خمسمائة على السلطنة وحاربه وخلعه وتسلطن ولقب نفسه بالأشرف سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م، لكنه لم يستمر في السلطنة سوي أيام معدودة، ثم رجع الناصر محمد للسلطنة مرة أخري، وظل بها إلى أن قتل بالجينزية سنة ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م. ابن شاهين الحنفي: نزهة الأساطين،ص١٤٧ - ١٤٩؛ ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣،ص٣٣٢-٤٠٤؛ القرماني: أخبار الدول، ج٢، ص ٣٢٠-٣٢٢؛ محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ج١، ق١، ص٥٥، ٥٦.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣، ص٣٨٢ ، ٤٤٦

الدعاء للسلطان المملوكى وأسبابه :

عمل بعض السلاطين والأمراء المماليك على استجلاب قلوب الرعية بل ودعائهم بعدة طرق ووسائل، ومنها إلغاء المكوس والضرائب والمظالم، خاصة إذا كان السلطان المملوكي محببا إلى العوام [١] ، هذه المحبة كانت سبباً للدعاء له[٢] .

فيشير ابن خلدون في ذلك الصدد "أن الدعاء للسلطان إذا كان محبوبا وقضيت حق السلطان في لقائه، وإعلامه بما اجتهدت فيه من الدعاء له، فتقبل ذلك بقبول حسن، وأقمت فيما عهدت من رعايته وظل إحسانه"[٣].

ولدينا العديد من النصوص ذات الدلالة على ذلك وذلك على النحو التالى :

جدول رقم (٢)

الدعاء للسلطان المملوكى وأسبابه

السنة	سبب الدعاء	الدافع	المصدر
(٦٥٨هـ/١٢٥٩م)	عندما أراد السلطان الظاهر بيبرس استجلاب قلوب الرعية سنة فأبطل المظالم التي أحدثها المظفر قطز ونُودي على المنابر بذلك **فضج الناس بالدعاء** له ومالت إليه قلوب الرعية .	**إسقاط الضرائب**	ابن إياس: بدائع الزهور،ج١، ق١، ص٣١١
(٦٧٦هـ/١٢٧٧م)	أسقط السلطان الملك السعيد ما كان قرره والده الملك الظاهر بيبرس على بساتين	**إسقاط الضرائب**	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٧، ص٢٦٥.

(١) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٤، ص١١٧ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور، ج٣ ، ص٤٥١ ، ج٤ ، ص٢١٢ ، ج٥، ص٤١ ، ٦٦ .

(٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص٢٢٥

(٣) تاريخه ، ج٧، ص٥٥٧

	دمشق فى كل سنة، فسر الناس بذلك **وتضاعفت أدعيتهم له** .		
(٦٨٠هـ/١٢٨١م)	رسم السلطان المنصور قلاوون سنة بإبطال الجهة المفردة من دمشق والبلاد الشامية، وبإراقة الخمور وإقامة الحدود على مرتكب ذلك وبتعظيم الإنكار في ذلك، فركب الولاة وطافوا وأراقوا الخمور وأزالوا ما يناسب ذلك، وشددوا غاية التشديد في ذلك **فتضاعفت الأدعية للسلطان** على ذلك .	**إراقة الخمور**	اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٥٤م، ج٤، ص٨٩.
	أسقط السلطان الأشرف خليل بن قلاوون بعض المكوس عن دمشق بالأمر التالى "ولتسقط عن رعايانا هذه الظلامة ، **ويستجلب لنا الدعاء من الخاصة والعامة**" .	**إسقاط المكوس**	ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١م ، ج٥، ص٢٨٠
٦٩٦هـ/١٢٩٦م)	أقام السلطان العادل كتبغا[١] بدمشق وركب السلطان مع	**سماع شكوى**	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٨، ص٦٢

(١) العادل كتبغا: السلطان العادل زين الدين كتبغا المغلي المنصوري، أصله مغولي وتم أسره من جيش هلاكو سنة ٦٤٨هـ/ ٩٢٣م، ثم اشتراه السلطان المنصور قلاوون، وعظم في دولته وولي نيابة السلطنة لابنه الناصر محمد بن المنصور في سلطنته الأولي، ثم عزله واستقل بالحكم، وتسلطن ولقب بالعادل، وفي أيامه تزايد الغلاء وانتشر الوباء، فتشاءم الناس منه، وطالبوا برجوع الناصر محمد، إلا أن الأمير حسام الدين لاجين انقلب عليه، واستغل خروجه للشام، وأعلن خلعه وتسلطن لاجين، وتلقب بالمنصور ، فكانت مدة حكمه سنة وأحد عشر شهراً،

	خواصه وأمرائه إلى الجامع لصلاة الجمعة فحضر وصلى بالمقصورة وأخذ من الناس قصصهم حتى إنه رأى شخصًا بيده قصة فتقدم إليه بنفسه خطوات وأخذها منه، فلما انقضت الصلاة خرج من الجامع والأمراء بين يديه **والناس يبتهلون بالدعاء له، وأحبه أهل دمشق** .	**الفقراء**	
(٧١٠هـ/١٣١٠م)	رسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بأن يعتد فى سائر البلاد بما كان يهديه الفلاحين وحسب من جملة المبلغ فلما فرغ من العمل فى ذلك نودى فى الناس بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال بإبطال ما أبطل من جهات المكس وغيره، وكتبت المراسيم بذلك إلى سائر النواحى بهذا الإحسان العظيم، فسر الناس بذلك قاطبة سرورًا عظيمًا، **وضج العالم بالدعاء للسلطان**	**إسقاط المكوس** .	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٩، ص٥٠

وعندما عاد الناصر للسلطنة ولاه نيابة حماة، وكانت وفاته سنة ٧٠٢هـ / ١٢٠٢م. الذهبي: تاريخ الإسلام،ج٥٢،ص ٣٤ – ٥٢؛ الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليه، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م، ج٣، ص٢١٨، ٢١٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص٢٤٠، ٢٤١؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي،ج٩،ص١١٥ – ١١٨؛ مورد اللطافة، ج٢، ص٤٨–٥٠؛ القرماني: أخبار الدول، ج٢، ص ٢٧٧، ٢٧٨؛ محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ج١، ق١، ص٣١.

	بسائر الأقطار.		
(٧١١هـ/١٣١١م)	أصدر السلطان الناصر محمد أيضًا مثالاً شريفاً لبلاد الشام بالمسامحة بالبواقى، وإبطال ما كان قد قرر على الرعايا، والإحسان إليهم، فاطمأن الناس **وتضاعفت أدعيتهم للسلطان**، وكان من هذه المسامحات إطلاق ضمان السجون وأن لا يؤخذ ممن يسجن أكثر من نصف درهم يكون أجرة السجانين، وكان قبل ذلك يؤخذ من المسجون ستة دراهم فما دونها، وتضمن المثال أيضًا إعفاء الفلاحين من السّخر ومقرّر القصب، **فتضاعفت الأدعية بسبب ذلك للسلطان** .	**تخفيف الضرائب وإبطال ضمان السجون وإعفاء الفلاحين من مقررات ضريبية** .	النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب فواز، حكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م ،ج٣٢، ص١٣٩ ؛ ج٣٢، ص١٦٣ .
(٧٦٠هـ/١٣٥٨م)	توجه السلطان الناصر حسن إلى المطرية على سبيل التسير، وشق القاهرة وزار قبر جده المنصور قلاوون والبيمارستان المنصوري وزار الضعفاء **وتفقد أحوالهم حرصًا على الدعاء له** ، **فارتفعت له**	**تفقد أحوال الفقراء**	ابن إياس: بدائع الزهور،ج١، ق١، ص٥٦٨

	الأصوات بالدعاء له .		
(٧٦٨هـ/١٣٦٦م)	نادى السلطان الأشرف شعبان [١] سنة في القاهرة أجناد الحلقة[٢] "كل من كان له إقطاع وأخرجه عنه الأمير الطنبغا حاجب الحجاب[٣] وقت العرض يحضر ويأخذ إقطاعه على عادته" **فدعوا له أولاد الناس** من أجناد الحلقة	**إعادة الممتلكات**	ابن إياس: بدائع الزهور،ج١، ق٢، ص٥٥

(١) السلطان الأشرف شعبان: هو السلطان الأشرف أبو المعالى شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون، تولى السلطنة سنة (٧٤٦هـ / ١٣٤٥م) بعد ابن عمه الملك المنصور حاجي، وكان عمره آنذاك عشر سنين، فقام الأمير يلبغا العمري بتدبير ملكه، وبعد قتل يلبغا سنة (٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) استقل بالملك، وقتل سنة (٧٧٨هـ /١٣٧٦م) . انظر: ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٢٠ –٢٤١؛ المقريزي: درر العقود، ج٢، ص١٢٣؛ ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة،ج٢،ص١٩٠؛ ابن تغري بردي: الدليل الشافي،ج١،ص٣٤٣، ٣٤٤؛ مورد اللطافة، ج٢، ص٩٨ – ١٠٣؛ القرماني: أخبار الدول، ج٢، ص٢٨٨، ٢٨٩؛ رجب بخيت: تاريخ دولة المماليك، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، (د. ت)، ص٣٠٨–٣١٩؛ محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ج١، ق١، ص٣٩، ٤٠.

(٢) أجناد الحلقة: يكونون أساس الجيش المملوكي، وكان عددهم كبيرا، ولكل أربعين منهم مقدم يتولى تنظيم أمورهم عند القتال، وربما دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتعممين وغيرهم بواسطة النزول عن الإقطاعات. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٦.

(٣) حاجب الحجاب: مشتقة من وظيفة الحاجب، وهي تعني كبير الحجاب ورئيسهم، وهو من يقوم بالنظر بحكم الشرع فى المخاصمات بين الأجناد واختلافهم في أمور الإقطاعات، وكذلك النظر على صندوق المال الذي يُجمع من جهات ليُفرق على الأرامل والفقراء. السبكى: معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٤٨م ، ص٤٠، ٤١؛ ابن كنان: حدائق الياسمين، ص١١٩؛ عادل عبد الحافظ حمزة: نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك، (٦٤٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م)، سلسلة تاريخ المصريين ١٨٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٢٤؛ محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص٥٩؛ محاسن الوقاد: الحجابة زمن سلاطين المماليك، بحث منشور ضمن كتاب مصر في العصر المملوكي (دراسات حضارية)، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢٠١.

	الذين رد لهم إقطاعهم .		
(٧٦٩هـ/١٣٦٧م)	بعد القضاء على فتنة الأمير يلبغا العمري[١] نادى السلطان الأشرف شعبان بالأمن والأمان والبيع والشراء وأن لا أحدًا ينهب شيئًا فارتفعت الأصوات بالدعاء .	**الأمن والأمان فى المجتمع**	ابن إياس: بدائع الزهور،ج١، ق٢، ص٧٠
(٧٩١هـ/١٣٨٨م)	أمر السلطان الظاهر برقوق سنة بإبطال الضرائب على البرسيم والشعير وإبطال قياس القصب والقلقاس وأن يعفي ذلك جميعه من المكوس **فتضاعفت الأدعية له .**	**تخفيف الضرائب والمكوس** .	الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م ، ج١ ، ص١٩٠
٧٩٣هـ/١٣٩٠م)	(دخل السلطان الظاهر برقوق إلى دمشق ونادى بالأمان وبأن الماضي ما يعاد، وصلى الجمعة بالجامع الأموي، **فأصر الناس بإعلان الدعاء له وضجوا بالدعاء للسلطان** وقد كانوا مترقبين بلاء كبيرا ينزل بهم منه لسوء ما فعلوا معه في السنة الماضية وكثرة مبالغتهم	**صفح السلطة**	ابن إياس: بدائع الزهور،ج١، ق٢، ص٧٠

(١) يلبغا العمري: الأمير يلبغا بن عبد الله العمري الناصري الخاصكي، أتابك العسكر للسلطان المنصور محمد بن المظفر حاجي (٧٦٢-٧٦٤هـ / ١٣٦١-١٣٦٣م)، كان المدبر للمملكة والمتصرف في شئونها وصاحب الأمر والنهي مما أدى إلى تزايد نفوذه، وقام بخلع السلطان بعد عامين من حكمه، واتفق مع الأمراء على تولية الأشرف شعبان بن حسين وهو ابن العاشرة، فتزايد نفوذ يلبغا وتناهت إليه الرئاسة ولقب نظام الملك. ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٣، ص٣٠١،٣٠٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٦، ٣٢؛ ابن إياس: دائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٩٢، ٥٩٣.

	في سبه وإعلانهم بفاحش القول له وهم يقاتلونه[١].		
(٨١٤هـ/١٤١١م)	عندما دخل السلطان الناصر فرج الإسكندرية فوقف له بعض تجار المغاربة يشكو له من ظلم القباض لهم فأبطل ما كان يؤخذ منهم من الثلث إلى العشر **فارتفعت له الأصوات بالدعاء .**	**توزيع مال الأوقاف**	ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣، ص١٣٢
(٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)	أبطل السلطان الظاهر ططر[٢] من دمشق ما كان لنائب الشام على المحتسب في كل سنة، وهو نحو الألف وخمسمائة دينار فتقوضها بزيادة من مظالم العباد، وعوض السلطان	**إسقاط الضرائب** .	

(١) ابن دقماق : النفحة المسكية فى الدولة التركية من كتاب الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م، ص٢٦٠ ؛ ابن صصري : الدرة المضية ، ص٩٣، ٩٤ ؛ المقريزي: السلوك ،ج٣ ، ق٢ ، ص٧٤٧ ؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١ ، ص٤١٢ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٩، ؛ السخاوي : وجيز الكلام ،ج١،ص ٢٩٨ ؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان ، ج١،ص ٣٣٣، ٣٣٤ ؛ ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج٢، ص٣٠٧ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور، ج ١، ق٢ ، ص٤٤٦، ٤٤٧

(٢) السلطان الظاهر ططر: كان من مماليك السلطان الظاهر برقوق، ثم صار في خدمه ابنه الناصر فرج، ثم ألحق بخدمة المؤيد شيخ، فأمره طلبخاناه، ولا زال يترقى حتى صار أحد المقدمين، وجعله المؤيد نائب غيبته أثناء خروجه لبلاد الشام، كما جعله وصياً على ابنه المؤيد أحمد إلى أن خلعه، وأعلن نفسه سلطاناً سنة (٨٢٤هـ / ١٤٢١م)، لم تدم مدته في الحكم حتى مات في نفس العام، وأثناء مرضه عهد لابنه محمد بالسلطنة، وكان يحب العلماء والفقهاء ويعظمهم، وكان يذاكر بالفقه ويشارك فيه، وكان محباً للأشعار باللغة التركية، وكان كريماً سخياً لدرجة مفرطة.ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر ،ج٣،ص٢٥٨،٢٥٧؛ العيني: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، تحقيق هانس أرنست، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،١٩٦٢م، ص٣-٢٢؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة ، ج٢، ص١٤٤-١٤٧.

	نائب الشام عن هذا المبلغ ببلد إربل، وولى حسبة دمشق لرجل بغير مال، ونادى إن طلب منكم المحتسب مالاً فارجموه ، **كثر الدعاء له من الناس**[١] .		
(٨٣٨هـ/١٤٣٤م)	عندما ندب السلطان الأشرف برسباي قاضى القضاة ابن حجر العسقلاني أن يكشف عن شروط واقفى المدارس والخوانق ويعمل بها، فسر الناس بذلك غاية السرور **وكثر الدعاء للسلطان بسبب ذلك** .	**شفاء السلطان**	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٥، ص٥٧ ، ٥٨
(٨٤٧هـ/١٤٤٣م)	حصل للسلطان الظاهر جقمق ضعف ثم عوفي منه وركب ونزل من القلعة **للبحر فدعا له الناس كثيرا** وفرحوا بسلامته وعافيته .	**الدفاع عن حقوق المرأة ورفع الظلم**	ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج٤، ص٢٧٨
(٨٥٧هـ/١٤٥٣م)	تعرض أحد المماليك لأحد النساء فدافعه زوجها ولكمه فضربه المملوك فاشتكي الزوج للسلطان الظاهرجقمق(٨٤٢-٨٥٧هـ /١٤٣٨-١٤٥٣م) وتحقق من صحة ما قاله الزوج فأمر بوضع المملوك في زنجير	**قمع أهل الفساد والأمن والأمان**	البقاعي: إظهار العصر، ج١، ص إظهار العصر لأسرار أهل العصر المعروف بتاريخ البقاعي، تحقيق محمد سالم بن شديد العوافي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ١٩٩٣م ، ص٣٨٩؛ إيمان صلاح: نساء

(١) ابن إياس: بدائع الزهور ، ج٢ ، ص٧٢، ٩٦

	وأن تشق به القصبة إلى سجن المقشرة[١] جزاءً ما فعله مع المرأة **فأحبه العامة ونساؤهم ودعوا له كثيرًا** .		العامة فى مصر فى خلال العصر المملوكى ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٢٠، ص١٤٢ ، ١٤٣
٨٦٥ / هـ/١٤٦٧م	سار المؤيد أحمد بن إينال)[٢] في سلطنته سيرة حسنة جميلة، وقمع أهل الفساد وقطاع الطريق بجميع إقليم مصر، وأمنت السبل في أيامه أمنا زائدا، وزالت أفعال الأجلاب بالكلية مما أردعهم في أوائل سلطنته بالإخراق والوعيد وأبعدهم عنه، ثم سلك الطريق الجميلة فى الرعية فعظم حب الناس له، **وانطلقت الألسن له**	**حسن السياسات والأمن والأمان** .	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٦، ص٢٤٩

(١) سجن المقشرة: بجوار باب الفتوح فيما بينه وبين الجامع الحاكمي، كان يقشر فيه القمح، ومن جملته برج من أبراج السور والمقشرة كان سجن أرباب الجرائم وهدمت الدور التي كانت هناك سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م وعمل البرج والمقشرة سجنًا ونقل إليها أصحاب الجرائم وهو من أشنع السجون وأضيقها يقاسي فيها المساجين من الغم والكرب. المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٨١٤؛ هالة نواف: السجون في مصر في العصر المملوكي(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدرسات العليا، جامعة الأردن، ٢٠٠٨م ، ص٢١-٢٥.

(٢) الملك المؤيد أحمد بن إينال: ولد سنة ٨٣٥هـ /١٤٣١م بغزة حين كان أبوه أمير عشرين بها، وقد تولى السلطنة في مرض أبيه بعهد منه سنة ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م، وتولى أمورها بعد موته، وأحسن تدبير أمور الملك، وساس الناس أحسن سياسة، فأحبه الناس ورغم ذلك اتفقت جميع الطوائف على خلعه، وسلطنوا مكانه الأتابك خشقدم، وبعد خلعه حبس بالإسكندرية، ودام بها إلى أن أخرجه السلطان الظاهر تمربغا، وسمح له بالسكن في أى دار يختارها بالإسكندرية، وقد توفي سنة ٨٩٣هـ /١٤٨٧م، ونقل إلى القاهرة ليدفن عند أبيه . انظر : المقريزي: درر العقود، ج١، ص٣٢٧؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة،ج٢،ص١٧١، ١٧٢؛ القرماني: أخبار الدول، ج٢، ص ٣١٥، ٣١٦؛ محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ج١، ق١، ص٥٠.

	بالدعاء والابتهال سرا وعلانية		
(٨٦٥هـ/١٤٦٠م)	أمر السلطان المؤيد أحمد بن إينال بين يديه بالحوش بأن النفقة في المماليك السلطانية تكون لكل واحد مائة دينار، وتكون أول التفرقة يوم الثلاثاء عشرين الشهر، **فضج الناس له بالدعاء .**	**سماع شكوى العوام**	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٦، ص٢٢١
٨٦٦هـ/١٤٦١م	نزل السلطان الظاهر خشقدم[١] (٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م) من القلعة وشق من الصليبة[٢] لسماع شكاوى العوام **فضجوا له بالدعاء.**	**تطييب خاطر العوام**	ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢، ص٣٩٨
(٨٦٩هـ/١٤٦٤م)	نزل السلطان الظاهر خشقدم	**الاختلاط بالناس**	ابن شاهين الحنفي: نيل

(١) السلطان الظاهر خشقدم: هو أبو سعيد خشقدم أو خوشقدم بن عبد الله الناصري الرومي الجنس، تولى السلطنة سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م بعد خلع السلطان المؤيد أحمد بن إينال، جلبه إلى القاهرة الخواجا ناصر الدين ٨١٥هـ/ ١٤١٢م لذلك يُنسب إليه، فاشتراه السلطان المؤيد شيخ ثم أعتقه وجعله جمداراً، ثم صار خاصكياً في دولة المظفر أحمد بن المؤيد، وخرج في سلطنة الظاهر جقمق كأمير مقدم ألف بدمشق، فأستقدم خشقدم إلى القاهرة بواسطة مال بذله للسلطان فقرر في الحجوبية الكبرى، وصار في عهد المؤيد أحمد أتابكاً للعسكر، مما مهد لسلطنته، توفي سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م ودفن بتربته وعمره خمسة وسبعون عاماً. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٥، ص٢١٠، ٢١١؛الدليل الشافي، ج١، ص٢٨٦؛ القرمانى: أخبار الدول، ج٢، ص٣١٦، ٣١٧؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٩، ص٤٦٧، ٤٦٨.

(٢) الصليبة: يبدأ من جهة المنشية، وينتهي من أول شارع حدرة الحناء أمام حارة بئر الوطاويط، وبه من جهة اليسار عطف وحارات ودروب منها، حارة درب البوص ودرب المراحلية وعطفة حوش الحدادين .علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠١م ، ج٢، ص ٣١٣.

	من القلعة وتوجه الى جهة مصر العتيقة ليطيب خاطر أهل مصر مما فعله المماليك الجلبان من التعدي عليهم فزينت له زينة حافلة **وضج الناس له بالدعاء له** وكان بعض الأمراء قد خوفه من عاقبة دعائهم عليه .	**ورفع المكوس** .	الأمل،ج٦، ص٢١٠ ؛ ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢، ص٤٢٨.
٨٨٠هـ/١٤٧٥م)	زار السلطان الأشرف قايتباي رشيد ليتفقد أحوال البرج الذي رسم ببنائه ، وتوجه لإدكو وزار صلحاءها وأكل في ضيافة أهلها وأنعم عليهم برفع بعض المكوس **مما ضجوا له بالدعاء .**	**سماع شكوى الناس .**	السخاوي: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م ، ج٢، ص٨٦٣ .
(٨٨٢هـ/١٤٧٧م)	جلس السلطان بين الناس يسمع شكوتهم ويحكم بينهم **فارتفعت له الأصوات بالدعاء** ، وأثناء خروج السلطان الأشرف قايتباي وهو مريض لاستقبال وضيافة أحد الأمراء، خرج العوام لرؤيته ولما شاهدوه **صاحوا بالدعاء له** والتفوا حوله	**الأمان وطمأنة الناس .**	الصيرفي: إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م ، ص٤٢٠؛ ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣، ص١٣٨ إيمان صلاح : دور نساء العامة ، ص١٢٤ .
(٩٠٦هـ/١٥٠٠م)	كان دخول العادل طومان باي القاهرة وكان محببا من الرعية **وارتفعت له الأصوات بالدعاء** له ، ونادى بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء وأن لا احد	**التخفيف على الناس وإبطال المشاهرة .**	ابن إياس : بدائع الزهور، ج٣ ، ص٤٥٨ .

	يشوش على أحد من الرعية فتزايدت له الناس بالأدعية السنية .		
(٩١٠هـ/١٥٠٤م)	أظهر السلطان الأشرف قانصوه الغوري العدل في الرعية، ونادى في القاهرة سنة أن المشاهرة التي كانت مقررة على الحسبة قد أبطلها السلطان **فارتفعت أصوات الناس له بالدعاء** .	**تفريق الأموال على الفقراء**	ابن إياس : بدائع الزهور، ج٤، ص٧٧
(٩١٢هـ/١٥٠٦م)	أمر السلطان الأشرف قانصوه الغوري بجمع الفقراء والحرافيش[١] عند سلم المدرج ونزل السلطان بنفسه وفرق لكل إنسان منهم دنياراً أشرفيا[٢] ففرق في ذلك نحو	**تفريق الأموال على الفقراء والصوفية** .	ابن إياس : بدائع الزهور، ج٤، ص٩٤ .

[١] الحرافيش: مفردها حرفوش، وهو ذميم الخَلق والخُلق وهو المقاتل والمصارع واللص. ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٢٨٢؛ الجوهري: الصحاح تاج اللغة، ج٣، ص١٠٠١؛ محمد النجار: حكايات الشطار والعيارين، ص٩، هامش ١؛ كريمة محمد: المفهوم اللغوي للعامة، ص٥٠؛ أحمد عبد الرازق: الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين–الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الزقازيق، ٢٠١١م، ص٩٧؛ رشا فؤاد: الزعر والحرافيش، ص٢١–٢٣.

[٢] الدينار الأشرفي: نسبة إلى السلطان الأشرف برسباي، أمر السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م بضرب الدنانير الأشرفية للحد من سيطرة النقود الذهبية على الأسواق المصرية ولتحل محلها،وهو من أجود الدنانير في العصر المملوكي الجركسي، وأطولها زمناً في المعاملة، وكان يتم التعامل به إلى جنب الدينار الظاهري الذي يبدو أنه ينسب إلى الظاهر جقمق. انظر : المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٠٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٨٣؛ رأفت محمد النبراوي: النقود الإسلامية في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة، ط٢، مطبعة مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٣٣٩؛ شفيق مهدي: مماليك مصر والشام نقودهم – نقوشهم – مسكوكاتهم – ألقابهم – سلاطينهم)، الدار العربية للمطبوعات،

	ثلاثة آلاف دينارٍ **فارتفعت له الأصوات بالدعاء له** .		
	عندما نزل السلطان الأشرف قانصوه الغوري إلى جامعه في الشرابشين[1] فتفقد أحواله ، وأنعم على صوفية المدرسة كل واحد منهم وعلى البوابين والفراشين وأيتام المكتب، ففرق في ذلك اليوم أكثر من خمسمائة دينار أشرفي ، وأنعم على مشايخ الدرس لكل واحد منهم عشرة دنانير أشرفية ، **وارتفعت له الأصوات بالدعاء** .	**الأمن والأمان وحقوق المرأة** .	ابن إياس : بدائع الزهور، ج٤، ص٢٣٦
(٩١٨هـ/١٥١٢م)	نادي السلطان الأشرف قانصوه الغوري الناس بالأمن والأمان وأن لا يتعرض مملوك لامرأة **فارتفعت له الأصوات بالدعاء له** .	**مساعدة ومسامحة الغارمين** .	ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٢٧٧؛ إيمان صلاح: نساء العامة ، ص٥٥٩ ؛ لطفي نصار: وسائل الترفيه، ص٢٨٥، ٢٨٦.
(٩١٩هـ/١٥١٣م)	أطلق السلطان الأشرف قانصوه الغوري سامح الكثير	**إطلاق المساجين**	ابن إياس : بدائع الزهور، ج٤، ص٣١٨

بيروت، ٢٠٠٨م، ص ١٩٢، ١٩٦؛ محمد أمين: فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك (٢٣٩-٩٢٢هـ/٨٥٣-١٥١٦م)، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (د. ت) ، ص٣٤٢، هامش٥؛ P. Bolog: The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria, New York, 1964,pp. 311, 327.

(١) الشرابشين: سوق الشرابشين، مما أحدث بعد الدولة الفاطمية، ويباع فيه الخلع والشرابيش التى كانت للأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم حيث كان بهذا السوق عدة تجار لشراء الخلع والشرابيش . انظر : المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٥٩٠، ٥٩١؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج٢، ص١١٨.

	من الغارمين **فضجت له الرعية بالأدعية السنية.**		
(٩١٩هـ/١٥١٣م)	أطلق السلطان الأشرف قانصوه الغوري الكثير من مشايخ العربان والفلاحين والغلمان والعمال والزغلية الغارمين ممن كانوا في السجن بسبب الديون فسامحهم جميعا وكذلك اللصوص استتوبهم وأطلق سراحهم فأطلق واحداً وثمانين شخصا في يوم واحد **فارتفعت له الأصوات بالدعاء** له وكبر كل من كان حاضرا في الحوش السلطاني حتى سمعوهم في الجبل المقطم فضجت له الرعية بالأدعية السنية .	**إطلاق سراح الغارمين وفقراء اللصوص .**	ابن إياس : بدائع الزهور، ج٤، ص٣١٨
(٩٢٢هـ/١٥١٦م)	أبطل السلطان الأشرف قانصوه الغوري سنة المشاهرة والمجماعة التي كانت مقررة على الحسبة وأبطل مكس الغلال على البحرين **فارتفعت أصوات الناس له بالدعاء** وفرحوا بذلك ونقطت الناس المشاعلية[١] الذين نادوا بذلك ،	**إبطال المشاهرة .**	ابن إياس : بدائع الزهور، ج٥، ص١٧ والتى تليها .

(١) المشاعل: جمع مشعل، وهي آلة من حديد كالقفص مفتوح الأعلى، وفي أسفله خرقة لطيفة توقد فيه النار بالحطب فيبسط ضوءه ويُحمل ليلاً للإضاءة، والذين يحملونه يطلق عليهم مشاعلية. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١١٣١؛ أحمد ناصف: الشرطة في مصر الإسلامية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م ، ص١٦٨،

	وقال ابن إياس في هذه الواقعة : قد جاد سلطان الورى بعدله في القاهرة مد رخص السعار مع إبطاله المشاهرة كم جايع من فرحة يدعو له مجاهرة		

مما سبق يتضح لنا كيف أن الدعاء كان حاضراً للسلطان أيضاً إذا ارتبط الأمر بالرخاء وتيسير الأحوال المعيشية ، وسهل عليهم حياتهم ، وضن لهم معيشتهم ، ستراً ومالاً وصحة ، وهو ما يؤكد تناقضات الممارسات الشعبية ، فموقفها من السلطة ليس موقفاً متربصاً بقدر ما هو موقف قليل الحيلة الذى لا يريد سوى سلامه الاقتصادى والأمنى وتخفيف الأعباء الاقتصادية .

الدعاء لرجال السلطة

يمكن الجزم أن الشخصية الشعبية شخصية متناقضة بامتياز ، فهى التى تكره الحاكم وتحبه فى ذات الوقت ، فلا يعنيها سوى ما يتماس مع واقع حياتهم اليومى ، من مأكل ومشرب وأمن وستر ، والشخصية الشعبية التى عاشت فى العصر المملوكى لم تكن استثناءً عن هذه القاعدة فهى التى دعت للسلطان ودعت عليه ، ودعت لرجال السلطة ودعت عليهم ، وفى واقع الأمر ، فباستقراء النصوص المعاصرة اتضح أن العديد من الأمراء المماليك كان لهم نصيب

١٦٩؛ محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص١٣٩؛ نجوى كمال كيرة: المشاعلية واثرهم في المجتمع المصري خلال العصر المملوكي، بحث ضمن كتاب المجتمع المصري في العصريين المملوكي والعثماني، المجلس الأعلي للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧ م، ص٨٦، ٨٧؛ سمر دعدع: ولاة القاهرة الكبرى خلال العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ٢٠٠٦م ، ص٧٢.

وافر من الدعاء لما اعتقده الناس من حسن سيرتهم ، فنجد على سبيل المثال ما حدث مع الأمير كمشبغا[١] الذي دبر الأحوال وصار أحداً في مدة حكمه ، ومن مظاهر هذه السياسة الحسنة ما ذكرته النصوص أنم لم يعد أحداً قادراً على إرهاب الناس فلم يكن مسموح لأحد حمل السلاح ، ولا التجاهر بأي منكر ولا يقرب فاحشة ولا يأخذ رشوة ولا يظلم أحدا من الرعية فحسنت سيرته ، وبالتالى فقد تضاعفت له الأدعية[٢].

وحسب إحدى الباحثات النابهات فى تاريخ العصر المملوكى التى قالت " بل إن العديد من وثائق الوقف التى أنشأها رجالات المماليك وسلاطينهم حددت صيغ الدعاء التى أملوا أن تتلى على الدوام لروح منشىء الوقف ، ففى عالم أصبح ما فيه غير مؤكد ، وأضحى فيه الصعود الصاروخى لبعض موظفى الدواوين وسقوطهم المدوى قصة حياة معتادة لكثير من العاملين فى الدواوين ، يصبح دعاء الرجل الصالح سنداً حقيقياً فى الحياة ، ولكن تلك الدعوات كما تستطيع أن تصنع الرجال تستطيع كذلك أن تكسرهم ، وأن الدعوات التى تعين فى الحصول على المنصب تستطيع أيضاً المساعدة فى طرده من هذا المنصب " [٣] .

كما كان إسقاط المخصصات والمستحقات المالية عاملاً أساسياً من عوامل استجلاب الدعاء ، وهو ما تطالعنا به أحداث سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م) عندما أبطل يلبغا السالمي مكس العرصة والأخصاص بمنية بن خصيب[٤] وأبطل المشاهرة التي تتحصل من المصادرة وألزمها

---

[١] الأمير كمشبغا: الأمير سيف الدين كمشبغا بن عبد الله الحموي اليلبغاوي، كان من مماليك الأمير يلبغا العمري ولديه منزلة عظيمة عنده وأستاذ السلطان الظاهر برقوق، أنعم عليه بأمرة طبلخاناة وجعله رأس نوبته ولهذا كان يدعوه السلطان برقوق أغا، ظل يتنقل في مناصب الدولة والولايات حتى تولى نيابة السلطنة بالديار المصرية، توفي محبوسا في الإسكندرية سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٢، ص٨١، ٨٢؛ ابن تغري بردي:المنهل الصافي، ج٩، ص١٤٢-١٤٦؛ النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٩؛ الدليل الشافي، ج٢، ص٥٦٠؛ ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل، ج١، ق٤، ص٢٦٦.

[٢] ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج١ ، ص٣٣٨

[٣] أمينة البندارى : عوام وسلاطين ، ص ١١١ .

[٤] منية بني خصيب: مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطيء النيل في الصعيد الأدني، وهي عامرة حولها جنات ومتنزهات، وتنسب إلى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل أمير المؤمنين

بترك ذلك ورفع الظلم عن الناس أجمعين وأحضر السماسرة وقرر لهم عن كل إردب[١] نصف درهم من غير زيادة على ذلك عن السمسرة والكيالة والأمانة وشدد عليهم في ذلك ، ونتيجة لهذه السياسات الرشيدة كثر دعاء أهل الخير له بسبب ذلك[٢].

وبالطبع كان رخص الأسعار سبباً أصيلاً من أسباب الدعاء لرجال السلطة المسؤولين عن هذا، ففي سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م) أقام الأمير شيخ –المؤيد شيخ فيما بعد– واليًا من جهته ونادى في القاهرة بترخيص الأسعار وبالأمن والأمان للرعية فضج الناس له بالدعاء[٣].

ومنهم يشبك بن أزدمر[٤] الذي كان ناظر الشيخونية وكان أهلها يبتهلون بالدعاء له والشكر منه[٥]، ومنهم نائب السلطنة الأمير جمال الدين الذى فتح أبواب السجون بدمشق وأخرج

هارون الرشيد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م ، ج٥، ص٢١٨؛ جني الأزهار في الروض المعطار، تحقيق محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦ م، ص٣٥.

(١) الإردب: هو مكيال مصري ضخم يتألف من ٦ ويبات، كل ويبة ٨ أقداح كبيرة أو١٦ قدحاً صغيراً. القلقشندي: صبح الأعشي، ج٣، ص ٤٥٥؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٥١٦؛ محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط٥، دار التراث، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٣٣٠ – ٣٣٢؛ حسن عبد الرحمن خطاب: الزراعة والمجتمع الريفي في مصر الإسلامية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٢٦؛ فوزي حامد عباس الميموني: الحياة الاقتصادية في مصر العليا خلال العصر المملوكي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٩١.

(٢) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٢، ص٥٦

(٣) ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل،ج٦، ص٢١٠ ؛ ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢، ص٤٢٨

(٤) يشبك بن إزدمر : من مماليك السلطان الظاهر برقوق ، ولد ببلاد جركس وقدم مع أبيه فاشتراهما الظاهر في أول أمره وقدم والده ثم عمل ابنه خاصكيا إلى أن أظهر في وقعة تيمورلنك من الشجاعة والإقدام ما اشتهر وحمل بعد قتل أبيه في المعركة إلى تمر وبه نيف عن ثلاثين جرحا ما بين ضربة سيف وطعنة رمح فأعجبه وأمر بمداواته والتلطف به حتى تعافى فاحتال حتى فر وعاد إلى الناصر فرج فعمله أمير عشرة ولا زال حتى قدمه وعمله رأس نوبة النوب ثم ولي نيابة حماة ثم حلب في أيام نوروز الحافظي . انظر : السخاوي: الضوء اللامع ، ج١٠، ص٢٧٠

(٥) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٣، ص٥١ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج١٠، ص٢٧٠

المساجين منها، ودعا الناس له في الأسواق دعاءً وافراً[١]،واحتفل الناس بالأمير جكم وأظهروا محبته لما بلغهم من حسن سيرته وظلوا يدعون له[٢] .

وفي ذلك الصدد وتحديداً سنة (٨٢٤هـ/١٤٢١م) كان للأمير الكبير ططر –الظاهر ططر فيما بعد–(٨٢٤هـ /١٤٢١م) الكثير من المواقف التي استجلبت له دعوات الناس له سواء قبيل سلطنته أو بعدها ومنها ؛ أنه أمر أن يُعاد لأجناد الحلقة ما كان مقرراً عليهم من أعباء مالية قديمة وبالتالى ضج الناس بالدعاء له[٣]، ونودي أيضًا بكف المظالم على الناس فكثر الدعاء لنظام الملك ططر وعبر النص عن ذلك ببلاغة قائلاً " وتمشت أحوال الناس" [٤] وهو الأمر الأهم الذى يشغل بال العوام وهو أن تسير أحوالهم .

ومن أفعال علم الدين ابن الكويز [٥] أحد الأمراء البارزين وأحد الرجال الفاعلين فى دولة الظاهر ططر أنه عندما كان في زيارة القدس فتوجه من طريق نابلس، فشكا إليه أهل القدس والخليل ما أضر بهم من أمر الجباية وكانت لنائب القدس، وتحصل منها لفلاحي القرى إجحاف شديد ويتحصل للنائب ألوف من الدنانير، ولمن يتولى استخراج ذلك ضعفه، وقد رأى أن هذه

---

(١) البرزالي: المقتفي ، ج٤، ص٣٤

(٢) ابن حجي: تاريخه، ج٢، ص٥٦٤

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢، ص٦٥

(٤) المقريزي: السلوك ، ج٤، ق٢، ص٥٦٦

(٥) علم الدين بن الكويز : هو داود بن عبد الرحمن بن داود، الشوبكي الأصل المعروف بابن الكويز علم الدين أبو عبد الرحمن. مات بمنزله ببركة الرطلي بعد أن طال مرضه، وكانت أمور المملكة في طول مدة مرضه لا تصدر إلا عن رأيه وتدبيره، وكان يجتمع بالسلطان خلوة ويذكر أنه إذا ركب يتأذى بالركوب كذلك إن دخل الحمام أو الجامع ثم ضيق الأمير يلبغا على جميع النصارى الملكية خصوصا الشوابكة واتهموا بأنهم مالئوا الإفرنج على الإسكندرية، فأسلم هو وكثير منهم وتسمى عبد الرحمن، ثم لما تسلطن المؤيد تقرر في نظر الجيش، ثم اختص بالظاهر ططر وتقرر عنده كاتب السر في أيامه، وصولح ولده بعد موته على أربعين ألف دينار، وكان يتدين ويلازم الصلاة ويصوم تطوعا ويتعفف عن الفواحش ويلازم مجالسة أهل الخير مع طول الصمت . ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٣، ص٣١٣ ، ٣١٤

الممارسات تمثل إجحافاً شديداً فى حق الفلاحين ، فلما رجع استأذن السلطان في إبطال هذه المظلمة، فأذن له وكتب بها مناشير فقرئت بالقدس والخليل، و بناءً على ذلك كثر الدعاء له [١].

ومن النصوص الأخرى التى تعكس صدى السياسات الحسنة على استجلاب الأدعية من العوام عندما توجه الأمير جانم الخاصكي[٢] إلى بلاد الشام لكشف الأوقاف، وهناك جُمع له من جهة الأوقاف بالقدس الشريف تسعمائة دينار وقيل ألف دينار ومن أهل الذمة ثلثمائة دينار فلم يقبل شيئا من جهة الأوقاف وأعاد المبلغ بكماله لمستحقيه وأخذ ما جمع له من أهل الذمة وحصل للمسلمين من مستحقي الأوقاف الجبر بذلك وتضاعف الدعاء له[٣].

واستمراراً فى عرض ما سبق فمن الأمراء الذين نالوا الدعاء لحسن سيرتهم أيضًا ماجد بن موسى بن أبي الفرج[٤] الذى مارس فن إدارة الأزمة بامتياز ، فالرجل الذى تولى منصب الوزارة تصادف مع وزارته حدوث وباء كبير ، فلم تمتد يده على أموال المواريث أو حقوق الناس رغم حاجة السلطة لتدبير الأموال لمواجهة هذه الجائحة ، ولذلك كثر الدعاء له[٥] .

---

(١) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٣، ص٣١٤ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج٣، ص٢١٣

(٢) الأمير جانم الخاصكي: أحد الأمراء المقدمين في الدولة، تقلد عدة مناصب هامة إلي أن استقر خاصكيا ثم مقدم ألف توفي سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م، واتهم في قتله الأمير يشبك الدودار حيث قيل أنه سمه. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص١٥٣.

(٣) العليمي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، المطبعة الحيدرية ومكتبتها فى النجف ، العراق ، ١٩٦٨، ج٢، ص٣١٨

(٤) ماجد بن موسى بن أبي الفرج : هو عبد الوهاب بن عبد الله ويدعى ماجد بن موسى بن أبي شاكر أحمد ابن أبي الفرج، يعرف بالنسبة لجده بعدها تنقل في المباشرات إلى أن باشر نظر الديوان المفرد في آخر الدولة الظاهرية واستمر بيده إلى أن مات، وباشر استادارية الأملاك والذخائر والمشاجرات والأوقاف وعظم عن الناصر بحسن مباشرته، ثم ولي نظر الخاص بعد موت مجد الدين بن الهيصم ثم قبض عليه وصودر على أربعين ألف دينار باع فيها موجوده وأفرج عنه وأعيد إلى مباشرة الذخيرة والأملاك، ثم قرر في الوزارة بعد صرف تاج الدين ابن الهيصم فباشرها مباشرة حسنة وشكره الناس كلهم، فلم تطل مدته حتى كان بعيدا عن النصارى ومتزوجا من غيرهم، وكان عارفا بالمباشرة ويحب أهل العلم، وكان شديد الوطأة على العامة إلا أنه باشر الوزارة برفق لم يعهد مثله، وكان موصوفا بالدهاء وجودة الكتابة . ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٣، ص١١٠ ، ١١١ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج٥، ص١٠٢ ، ١٠٣

(٥) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٣، ص١١١ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج٥، ص١٠٢ ، ١٠٣

الدعاء والغلاء

الغلاء بطبيعة الحال كان رفيقاً للدعاء ، فقد واجه الناس الغلاء بأسلحة قليلة من أبرزها الدعاء برفعه ، والأمثلة بطبيعة الحال متعددة وهو ما يبرهن أن الدعاء هو ظاهرة لاحظتها المصادر بوضوح ، ففي سنة (٧٩٨هـ/١٣٩٥م) وقع الغلاء بمصر وعز بيع القمح كثيرا فرسم السلطان الظاهر برقوق بجمع الفقراء والحرافيش وفرق عليهم كل يوم عشرين إردبًا من الدقيق وفرق خبزاً على الفقراء فكانوا يزدحمون وقت التفرقة حتى كان يموت منهم في كل يوم من الزحام نحو عشرين شخصًا ، فعندما اشتد الأمر على الناس توجه شيخ الإسلام سراج الدين بن البلقيني إلى جامع الأزهر، ومعه جمع كثير من الناس فابتهلوا بالدعاء ، وبتعبير بليغ يرسم النص الحالة النفسية للناس قائلاً " وسألوا الله تعالى بقلوب منكسرة برفع الغلاء، واجتمع معهم أهل الجامع وخلق كثير فأصبح من اليوم التالي وصول مراكب مشحونة بالغلال إلى ساحل بولاق فانحط السعر إلى عشرة دراهم من كل إردب وأخذ في النزول حتى أبيع بمائة وثلاثين الإردب، والخبز كل رطل[١] بدرهم[٢].

ومن الحوادث الأخرى التى تبرهن على هذه الإشكالية ما حدث سنة (٨٢٨هـ/١٤٢٤م) وهي حادثة ذات طابع إشكالى فقد قل الخبز في الأسواق فعنده خرج بدر الدين محمود العينتابي –محتسب القاهرة– من داره سائرا إلى القلعة صاحت عليه العامة واستغاثوا بالأمراء وشكوا إليهم المحتسب فعرج عن الشارع وطلع إلى القلعة ، ويبدو أن العوام كانوا قد استجاشوا للشكوى معلنين حالة من حالات التمرد وهو ما يعبر عنه النص بقوله " وهو خائف من رجم العامة له " وشكاهم إلى السلطان الأشرف برسباي فحنق السلطان وبعث طائفة من الأمراء إلى باب زويلة لضبط الناس ، فأخذوا على المارة أفواه السكك ليقبضوا على الناس فرجم بعض العبيد أحد الأمراء

---

(١) الرطل: يساوى في مصر والقاهرة ١٤٤ درهماً باعتبار الأوقية ١٢ درهماً. ابن الأخوة: معالم القربة فى أحكام الحسبة، مكتبة المتنبي، القاهرة، [د.ت].، ص٨٠؛ المقريزى: ثلاث رسائل، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، ١٢٩٨هـ، ص٣؛ ابن الوردي: ويليه عجائب النباتات والفواكه والحيوانات"، تحقيق أنور محمود زناتي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١١ م ، ص١٨، هامش ١؛ المناوي: النقود والمكاييل والموازين، تحقيق رجاء محمود السامرائي، سلسلة كتب التراث (١٠٧)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١م ، ص٣٥؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٥١٨.

(٢) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج١ ، ص٤٢٧ ؛ ابن إياس: بدائع الزهور،ج١، ق٢، ص٤٨٢

بحجر أصابه فقبض عليه وضرب وقبض على جماعة كبيرة من الناس وأحضروا بين يدي السلطان الذى أمر بمعاقبتهم ووصل العقاب لحد توسيطهم ثم أسلمهم إلى الوالي ، الذى مارس عليهم ممارسات بالغة العنف فضربهم وقطع آنافهم وآذانهم وسجنهم ثم عرضوا على السلطان فأفرج عنهم – وعدتهم اثنان وعشرون رجلا من المستورين – ما بين شريف وتاجر فتنكرت القلوب من أجل ذلك ، وبالطبع استجلب دعاءهم فانطلقت الألسنة بالدعاء عليه(١).

وفي ذات السياق تناقص فقد زاد سعر القمح بشكل مبالغ فيه ووصلت الندرة حتى عدم الناس الخبز سبعة أيام، واستسقى الناس بالجامع الأزهر، تقدمهم الشيخ سراج الدين البلقيني ، وهنا تختلط الصورة الشعبية بالدينية بالاجتماعية فتناقلت الروايات عن منام رآه بعض من يعتقد فيه الصلاح، فعجب أكثر الناس لموافقة الشيخ على ذلك لكنه بالغ في الدعاء والابتهال والتضرع وضج معه الناس في ذلك، وكانت ساعة عظيمة (٢).

وإلحاقاً بما سبق فقد تعرض الوجه البحري سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م) لقلة من الغلال بسبب انتشار الفئران التى تسلطت على الزرع في هذه السنة فاحتاجوا على جلبه من الصعيد، ولكن للأسف أمسك أهل الصعيد أيديهم عن البيع لما بلغهم من منع المحتسب من الزيادة في السعر فاشتد الأمر وعم البلاء وقد امتدت الأيدي للخطف، وحسب وصف النص فاجتمع واجتمع مالا يحصى ببولاق لطلب القمح، وتعطل غالب الأسواق من البيع والشراء بسبب اشتغالهم في تحصيل القوت، وقلت أصناف المآكل وعظم الخطب وصارت المراكب من القمح إذا وصلت إلى الساحل تربط في وسط النيل في الشخانير(٣) خشية من النهب ثم وقع التحجير على من يشتري زيادة على إردب وصار معظم الواصل يقسم على الطحانين ليطحنوه للفرانين ويحمل إلى حوانيت الخبازين، ومع ذلك فالزحام عليه شديد حتى مات جماعة من الزحمة وغرق جماعة في البحر

(١) المقريزي: السلوك ، ج٤، ق٢، ص٦٩٨ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٤، ص٢٨٢

(٢) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص٦٠٧

(٣) الشخانير: مفردها شخنور أو شخنورة، وهي سفينة صغيرة بسار واحد في الوسط، وهي من المراكب النيلية التي كانت تُستعمل كمعدية الناس في النيل، وتستخدم فى الصيد أيضاً. ليلي عبد الجواد: بولاق في عصر دولة المماليك الجراكسة "٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م"، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١١٦، هامش١.

عند التوجه إلى المراكب الواصلة، وخرج الناس إلى الصحراء يستكشفون هذا البلاء ومقدمهم قاضي جلال الدين البلقيني فوقفوا قريبا من قبة النصر فضجوا ودعوا بغير صلاة[١].

ومن الأمور المأساوية أن الغلاء كان يُشعر البعض بالعجز فيدعى على نفسه بالموت أو على أولاده حين ييأس ويغلب عليه الأمر من قلة الأموال وكثرة النفقات ففي سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) توقف السلطان الأشرف قايتباي عن صرف بعض الجوامك وكانت جوامك المماليك والجند ستة وأربعين ألف دينار شهريا فأمر بأن ينادي أن من له جامكية فليحضر يقبضها بنفسه، وعقد مجلسًا بالقلعة بين يديه حضره القضاة وبعض مشايخ العلم والأمراء وأرباب الدولة وكان يوم تفرقة الجامكية وكان الغرض منه قطع جوامك أولاد الناس والمتعممين من فقهاء وغيرهم فذكر السلطان الأشرف أن ديوانه عاجز عن صرف هذه الجوامك وصار يدعو على نفسه بالموت والدعاء على من ولاه السلطنة[٢].

ويمكن أيضاً أن نرصد واحداً من النصوص التى توضح مدى الإشكال الحادث مع الأعباء المادية والدعاء فعلى سبيل المثال كثر الضرر على المسلمين بدمشق سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م) بسبب فرض مال أملاك المسلمين بأجرة شهرين على كل ملك بسبب مشاة يخرجون يذبون عن الحجاج، حتى أن بعض المسلمين دعا على الحجاج بأن لا يرجعوا من كثرة ما حدث لهم من الظلم[٣].

إذن فإن الغلاء والأعباء المادية كانت لصيقة الصلة بالدعاء ، سواء الدعاء برفع هذا الغلاء ، أو الدعاء على من كان السبب فى حدوثه ، أو حتى الدعاء على النفس فى حالة العجز عن مواجهة هذه الأعباء المادية .

---

(١) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٣، ص٧٠ ، ٧١

(٢) الصيرفي: إنباء الهصر ، ص٣٨-٤٠ ؛ ابن شاهين الحنفي : نيل الأمل ، ج٦ ، ص٣٤٥ ، ٣٥٣ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٣ ، ص٢٤ ؛ لمى إبراهيم : دولة المماليك الجراكسة " دراسة في التاريخ الاقتصادي من خلال كتاب نيل الأمل للمؤرخ عبد الباسط الظاهري، دار تموز، دمشق، ٢٠١٢م ، ص١٤٤ ، ١٤٥

(٣) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م ، ج١، ص٢٣٣

الدعاء والكوارث الطبيعية :

كانت الكوارث الطبيعية إحدى أهم المناسبات التى رافقت الدعاء فى مصر والشام فى العصر المملوكى ، فتضرعوا للسماء لإنقاذهم من غضبها ، وليتطهروا من آثامهم التى آمنوا أنها سبب أساسى فى هذه الكوارث مفسرين الأمر تفسيراً دينياً محضاً ، كما كانت الكوارث مناسبة لظهور كاريزما الأولياء ولذا جاءت كرامات الأولياء تجسيد للحلم الجماعى فى الإبراء من العلل والأسقام ، وتوفير القوت وتحقيق الإشباع الغريزى المفتقد ، وفى الفترات التى تدهورت الأحوال الاقتصادية فى ديار المسلمين وتفشت الأوبئة والمجاعات زاد الحديث عن الكرامات التى تعوض سوء الأحوال ، وترمم نفسياً احتياج الناس إلى الطعام والكساء [١] .

يمكننا إذن أن نستطلع مثل هذه المشاهد التى وصفتها النصوص بشكل درامى ، فقد كان من عادة القضاة وأهل مصر فى هذه الشدائد الخروج إلى رباط الآثار النبوية، ويحملونها إلى جزيرة الروضة فيغسلونها فى المقياس ويقرءون القرآن الكريم ، ويتضرعون إلى الله تعالى أن يجرى النيل، ثم ينادى فى الناس بالتوبة والإقلاع عن المعاصى، والصيام ثلاثة أيام، حتى أن المقريزى المؤرخ دعا بنفسه فى ذلك اليوم، وخطب فيهم ابن القسطلانى خطيب جامع عمرو خطبة الاستسقاء، وصلى صلاة الاستسقاء، وكشف عن رأسه عند الدعاء، وحول رداءه فكشف الناس جميعا رؤوسهم وتعالت أصواتهم بالدعاء والاستغاثة وأجهشوا فى البكاء، فكان مشهدا عظيما ولكن النيل أبى أن يوفى، " فلم يسقوا وعادوا خائبين ، فعز وجود الغلال" [٢]

وبطبيعة الحال فإن كل ما يمس المياه هو أصل للحياة ، وسواء جاء الماء ناقصاً أو فائضاً فهو كارثة تهدد الحياة نفسها ، حتى أن المصريين ابتكروا أدعية مخصوصة للاستسقاء فى مواسم نقص المياه ، ومن الجدير بالإشارة فقد انفرد أبو بكر بن العماد[٣] بأشياء منها وجوب الصلاة على النبي في دعاء الاستسقاء[١].

---

(١) عمار على حسن : الصوفية والسياسة في مصر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص ٥٠ والتى تليها .

(٢) المقريزى: السلوك، ج٣، ق١، ص٢١٩ ؛ مصطفى دويدار : جزيرة الروضة ، ص ٣٤٧ والتى تليها .

(٣) أبو بكر بن العماد : هو أبو بكر بن أبي المجد بن ماجد بن أبي المجد ولد سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م وسمع من المزي والذهبي وغيرهما وأحب الحديث فحصل طرفا صالحا منه وسكن مصر قبل الستين فقرر في طلبة

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي في دعاء الاستسقاء :

خرجنا لنستسقي بيمن دعائه وقد كاد هدب الغيم أن يلحق الأرضا

فلما ابتدا يدعو تقشعت السما فما تم إلا والغمام قد ارفضا[٢].

وفيما يلى أبرز كوارث المياه على النحو التالى :

جدول رقم (٣)

كوارث المياه :

السنة	الدعاء	المصدر
٧٣٣هـ / ١٣٧١م	زاد النيل زيادة مفرطة، فاجتمع الناس بالجامع الأزهر وجامع عمرو ، **وسألوا الله تعالى فى هبوطه وكرروا ذلك حتى هبط .**	ابن حجر: إنباء الغمر بأنباء العُمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١١م، ج١، ص٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١٠٥.
(٧٤٠هـ/١٣٣٩م)	تجمع الناس بالجوامع في القاهرة ومصر في ليلة سابع عشر من المحرم **للدعاء بسبب توقف النيل عن الزيادة** فإنه كان قد توقف توقفا زائدا فلما قرب الوفاء نقص واستمر على نقصه أياما .	المقريزي: السلوك ، ج٢ ، ق٢ ، ص٤٧٧ .
(٧٤٩هـ/١٣٤٨م)	اجتمع القضاة الأربعة وجماعة من الفقهاء والمشايخ والأمراء وغيرهم	المقريزي : السلوك ، ج ٢، ق ٣،ص٧٦١ ؛ ابن شاهين الحنفي: نيل

الشيخونية فلم يزل بها حتى مات ، اختصر تهذيب الكمال وحدث عن الذهبي بترجمة البخاري بسماعه منه. السخاوي: الضوء اللامع ، ج١١، ص٦٧

(١) السخاوي: الضوء اللامع ، ج١١، ص٦٧

(٢) الكتبي: فوات الوفيات ، ج٢، ص٧٩ ، ٨٠

	بالجامع الحاكمي وقرءوا فيه القرآن العظيم **ودعوا كثيرا** وتفرقوا، ثم اجتمعوا ثانيا في عصر ذلك النهار ودعوا للاستسقاء. ونودي بدمشق بالصيام لأجل الخروج إلى الاستسقاء، وقرئ صحيح البخاري بالجامع في سبعة أيام **ودعا الناس** عقيب الصلوات واستسقى الخطيب في خطب الجمع مرات وكذلك الخطباء، وبعد ذلك خرج الناس للاستسقاء العام وصلى وخطب بهم القاضي سليمان الجعفري وتبرك الناس به وأمنوا على دعائه خاضعين لله تعالى طالبين رضاه ورحمته، فمن الله تعالى بوقوع المطر ثاني يوم الاستسقاء وحصل خير كثير بفضل الله تعالى . وأمر الناس في أول يوم من رجب بالصوم لأجل **الاستسقاء**، وخرج الناس في يوم الخميس ثالث رجب إلى الميدان وحمل إلى المنبر، ونصب هناك، وخرج جميع الأمراء والقضاة والعلماء والفقراء والصوفية وعامة الناس مشاة إلى هناك على الهيئة المشروعة، وخطب الخطيب شرف الدين الفزاري خطبة حسنة **ودعوا الله كثيرا .** **ودعا الخطيب** في الخطبة بسبب احتباس المطر، وتأخر نزول القطر، وأمن الناس على دعائه قياما في أواخر	الأمل ، ج١، ص١٦٦ البرزالي: المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م ، ج٣، ص٣٠١ البرزالي: المقتفي ، ج٤، ص٣٥٤

	الخطبة، وكذلك في الخطبة التي تليها، وشرع فيها في قراءة صحيح البخاري .	
(٧٦٠هـ/١٣٥٨م)	بلغت زيادة النيل سنة إلى ما يقارب من أربعة وعشرين ذراعا فقلق الناس من هذه الزيادة **وصاروا يدعون الله** في الجوامع والمزارات في هبوطه وحدث غاية الضرر لهم وانقطعت الطرقات على المسافرين وغرقت جزيرة الفيل وأطراف الحسينية وانقلب جسر الفيوم وغرقت بعض أراضي الفيوم وأراضي جزيرة الروضة ونبع الماء من الجسر الأعظم بالقرب من قناطر السباع[١] وكان أمرا مهولا وظن الناس أن الله سبحانه وتعالى أرسل عليهم الطوفان فخرج شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن البلقيني إلى جامع الأزهر **ودعا إلى الله تعالى** فانهبط في ليلة واحدة أربعة أصابع واستمر يتناقص كل يوم .	ابن إياس: بدائع الزهور،ج١، ق١، ص٥٦٩ ، ٥٧٠
(سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)	توقف النيل عن الزيادة ووقع الغلاء وزادت أسعار الغلال ، فتوجه الناس إلى سيدي محمد وفا **وسألوه أن يدعو الله** تعالى بأن يفي النيل وأن يمن عليهم بالزيادة عن قريب فدخل إلى خلوته وخرج إليهم في اليوم التالي وهو يقول	ابن إياس: بدائع الزهور،ج١، ق٢، ص٦ ، ٧

(١) قناطر السباع: أول من أنشأها السلطان الظاهر بيبرس كانت عالية الارتفاع وكان يبدو أنه أراد أن يزيلها ليمحو آثار من سبقه من السلاطين ليخلد ذكر اسمه، فأمر بهدم قناطر السباع وعمارتها أوسع مما كانت عليه بعشرة أذرع، وأقصر من الارتفاع الأول ، وأحضر الصناع ووقف بنفسه حتى انتهت سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م. المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٧٠٨.

	وفا وفا لذلك سمي سيدي محمد وفا فأوفى النيل بعد أيام قليلة بعد أن يأس الناس من زيادته في هذه السنة .	
(٧٧٥هـ/١٣٧٣م)	توقف ماء النيل عن الزيادة في أوانها حتى كان النوروز وتأخر من ذراع الوفاء إصبعين ثم نقص ، فخرج القضاة والناس إلى رباط الآثار النبوي وأخذ منه الآثار الشريفة وتوجهوا به إلى فسقية المقياس وغسلوا بها مرارا وتكرارا وغسلوها في النيل بالمقياس وقرءوا هناك القرآن الكريم **وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء** في إجراء النيل ورد ما نقص ثم عادوا فنزل حتى جفت الخلجان من الماء فارتفع السعر وبيع الإردب من القمح بستة وثلاثين درهما سوى كلفته وشرهت الأنفس وتكالب الناس على طلب القوت وغلب على الناس اليأس فنودي في الناس بالتوبة والإقلاع عن المعاصي وصيام ثلاثة أيام وكثرة الدعاء وخرج الناس إلى قبة النصر وهم حفاة بثياب مهنتهم ومعهم أطفالهم، وخرجت طائفة من اليهود ومعهم التوراة وطائفة من الأقباط ومعهم الإنجيل ، ونصب هناك منبر فخطب ابن القسطلاني خطيب جامع عمرو خطبة الاستسقاء وصلى صلاة الاستسقاء **وكشف رأسه عند الدعاء** وحول رداءه فكشف الناس جميعا رؤوسهم **وضجوا بالدعاء إلى الله تعالى** وارتفعت	المقريزي: السلوك ، ج٣، ق١، ص٢١٨ ، ٢١٩؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١ ، ص٥٩ ، ٦٠؛ ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق فهيم محمد شلتوت، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٠م ، ج١ ، ص٢٣٣ -٢٣٦ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ق٢ ، ص١٢٤ ، ١٢٥

	أصواتهم بالاستغاثة وهملت أعينهم بالبكاء فكان مشهدا عظيما فلم يسقوا وعادوا خائبين فعز وجود الغلال .	
(٨٠٦هـ/١٤٠٣م)	تمادت زيادة النيل أيام النسيء فانتهى ماء النيل فيه إلى اثنين وعشرين إصبعا من الذراع السادس عشر وبقى من الوفاء إصبعان فتوقف يومي الإثنين والثلاثاء عن الزيادة ونقص أربع أصابع فاشتد جزع الناس وتوقعوا حلول البلاء فسار قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقيني من داره ماشيا قبيل الظهر إلى الجامع الأزهر في جمع موفور **ولم يزل يدعو الله** ويتضرع وقد غص الجامع بالناس إلى بعد العصر ثم خرج القضاة وشيوخ الخوانق إلى الجامع ففعلوا ذلك إلى آخر النهار فتراجع النيل من الغد إصبعين وتم فتح الخليج وقد بقي من الوفاء أربع أصابع ، ثم توجه شيخ الإسلام جلال الدين إلى رباط الآثار النبوية وحمل الآثار النبوية على رأسه واستسقى **وأكثر من التضرع والدعاء مليا** وانصرف فتراجع ماء النيل ونودي بوفاء ستة عشر ذراعا وإصبعين من سبعة عشر .	المقريزي: السلوك ، ج٣، ق٣، ص١١٥٥ ؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٢، ص٢٥٩ ؛ السخاوي : وجيز الكلام ، ج١ ، ص٣٧١ ، ٣٧٢
(٨٠٧هـ/١٤٠٤م)	انقطع المطر فترة طويلة وقد كان الناس يكادون يقتتلون على الماء للسقي، وأبيع العدان الماء بثمانمائة درهم، فتجمع الناس يوم الجمعة وألقيت خطبة أولها "الحمد لله الذي غلبت رحمته غضبه	ابن حجي: تاريخ ابن حجى ، تحقيق : أبو يحيى عبد الله الكندرى ، دار ابن حزم ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ج٢، ص٥٧١ ، ٥٧٢

	فأسبل الستر جميلا وتدارك بلطفه الخفي ووعده الوفي وكان وعد الله مفعولا" **ودعوا كثيرا** ، فأجاب الله دعوة المضطر إذا دعاه ، وأنزل الغيث من بعد ما قنطوا ونشر رحمته وأسبغ الطول جزيلا، وتكفل بأرزاق العباد وأوثق به كفيلا، فوقع مطر وتوحلت الطرق وجرت المياه فيها وصار يوما من أيام كانون وحصل للناس بذلك سرور كثير فأغنى الله بهذه المطرة عن هذا التزاحم ووفر على الناس مالا كثيرا في هذه الجمعة وما بعدها فإن هذه السقية ينتظم عليها زرع كثير وأما الزرع البقل الذي لم ييبس وفيه رطوبة فقد انتعش وحيي بعد الموت .	
٨٢٢هـ	اشتد أمر الفناء والغلاء بالديار المصرية وعم سائر ضواحيها ، ومات من أهل القاهرة والفلاحين نحو النصف فلما اشتد أمر الغلاء نادى السلطان بأن يصوم الناس ثلاثة أيام متوالية وأن يخرجوا إلى الجوامع ، **ويطلبوا من الله تعالى أن يكشف عنهم الفناء والغلاء**، ثم نزل السلطان ومعه الخليفة والقضاة الأربعة وسائر العلماء والمشايخ والصلحاء والزهاد وكان السلطان يلبس جبة صوف بيضاء وعلى رأسه عمامة صغيرة، وعلى كتفه مئزر صوف أبيض على هيئة الصوفية ، وحملت الأعلام والمصاحف على رؤوس الناس ،	**ابن إياس: بداع الزهور، ج٢، ص٤٥-٤٦؛ مصطفى دويدار : جزيرة الروضة منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية حكم المماليك (٢٠ - ٩٢٣هـ / ٦٤٠- ١٥١٧م)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١١م.، ص ٣٤٧** والتى تليها .

	وخرجت طائفة من اليهود والنصارى تحمل التوراة والإنجيل فنزل السلطان خلف تربة الظاهر برقوق ، وصلى على الأرض بغير سجادة ومرغ وجهة فى التراب وبكى ، وخطب جلال الدين البلقتينى، **وضج الناس بالدعاء**، وذبح السلطان مائة وخمسين كبشا وعدة أبقار وجملين وفرقها على الفقراء والمساكين	
(٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	ووقف النيل عن الزيادة وتمادى على ذلك أياما فارتفع سعر الغلال وأمسك أربابها أيديهم عن بيعها وكثر قلق الناس ثم نودي فيهم أن يتركوا العمل بمعاصي الله وأن يلتزموا الخير ثم نودي أن يصوموا ثلاثة أيام ويخرجوا إلى الصحراء فأصبح كثير من الناس صائما وصام السلطان المؤيد شيخ أيضًا فنودي بزيادة إصبع مما نقصه ثم نودي أن يخرجوا إلى الجبل وهم صائمون فبكر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني وسار من منزله راكبا بثياب جلوسه في طائفة حتى جلس عند فم الوادي قريبا من قبة النصر وقد نصب هناك منبر فقرأ سورة الأنعام وأقبل الناس أفواجا من كل جهة حتى كثر الجمع ومضى من شروق الشمس نحو ساعتين أقبل السلطان بمفرده على فرس وقد تزيا بزي أهل التصوف فأنزل عن الفرس وجلس على الأرض من غير بساط ولا سجادة	المقريزي: السلوك ، ج٤، ق١، ص٥٣١ ، ٥٣٢

	مما يلي يسار المنبر فصلى قاضي القضاة جلال الدين ركعتين كهيئة صلاة العيد والناس من ورائه يصلون بصلاته ثم رقي المنبر فخطب خطبتين حث الناس فيهما على التوبة والاستغفار وأعمال البر وفعل الخير وحذرهم ونهاهم وتحول فوق المنبر **فاستقبل القبلة ودعا فأطال الدعاء** والسلطان في ذلك يبكي وينتحب وقد باشر في سجوده التراب بجبهته فلما انقضت الخطبة انفض الناس وركب السلطان فرسه وسار والعامة محيطة به من أربع جهاته يدعون له حتى صعد القلعة فكان يوما مشهودا ، ومن أحسن ما في هذا اليوم **أن بعض العامة دعا له** حالة الاستسقاء أن ينصره الله فقال:"اسألوا فإنما أنا واحد منكم فلله دره لو كان قد أيد بوزير أصدق وبطانة خير لما قصر عن الأفعال الجميلة بل إنما اقترن به فاجر جريء أو خب شقي .	
(٨٣٠هـ/١٤٢٦م)	توقف النيل عن الزيادة ونقص بعض أصابع سنة فقلق الناس من ذلك وقلت الغلال فرسم السلطان الأشرف برسباي للقضاة الأربعة والمشايخ أن يتوجهوا إلى المقياس ويقرءوا سورة الأنعام أربعين مرة ويتضرعوا **ويدعوا الله تعالى** كثيرا بالزيادة فلما فعلوا هذا نقص النيل ثلاثة أصابع واستمر على ذلك فكان منتهى الزيادة في تلك السنة سبعة عشر ذراعاً	ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢، ص١١٦

	وإصبعين ثم هبط بسرعة وشرقت البلاد ووقع الغلاء .	
(٨٣٢هـ/١٤٢٨م)	نودي بزيادة النيل سبعة أصابع ولم يناد عليه في اليوم التالي وتوقفت الزيادة وذلك أنه نقص أربعة أصابع لتقطع عدة جسور من فساد عملها فغرق عدة جرون تلف فيها كثير من الغلال فتكالب الناس على شراء الغلة خوفا من الشراقي فنزل السلطان الأشرف برسباي إلى رباط الآثار النبوية **ودعا الله تعالى** فأغاث الله عباده ووفى النيل ستة عشر ذراعا ونودي عليه بالوفاء فنزل المقام الناصري محمد بن السلطان لتخليق المقياس وفتح الخليج .	المقريزي: السلوك ، ج٤، ق٢، ص٨٠٦ ؛ ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر،ج٣ ، ص٤٢١
(٨٣٣هـ/١٤٢٩م)	توقف النيل عن الزيادة بعد الوفاء وانهبط عاجلا فشرقت البلاد ووقع الغلاء ثانيا بمصر وانتهت زيادة النيل في تلك السنة ثمانية عشر ذراعا وعشرين إصبعا ونزل السلطان إلى الآثار النبوية وزاره **ودعا إلى الله تعالى بالزيادة** فما كان ذلك .	ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢، ص١٢٦
(٨٥٤هـ/١٤٥٠م)	أمر السلطان الظاهر جقمق سنة الشيخ علي المحتسب أن يطوف فى شوارع القاهرة وبين يديه المدراء يعلمون الناس بأن فى غد يكون الاستسقاء بالصحراء لتوقف النيل عن الزيادة فخرج قاضى القضاة شرف الدين يحيى المناوى[١] إلى	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٥، ص٤٢٤ ؛ ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج٥ ، ص٣١٥ ؛ السخاوي: التبر المسبوك في ذيل

(١) شرف الدين يحيى المناوي: القاضي شرف الدين يحيى بن سعد الدين محمد بن المناوي ، ولد سنة

	الصحراء ماشيا من داره بين الخلائق من الفقهاء والفقراء والصوفية، إلى أن وقف بين تربة الملك الظاهر برقوق وبين قبة النصر ونصب له هناك منبر وحضر الخليفة وبقية القضاة، وصاروا فى جمع موفور من العالم من سائر الطوائف، وخرجت اليهود والنصارى بكتبهم، وصلى قاضى القضاة المذكور بجماعة من الناس ركعتين خفيفتين، **ودعا الله سبحانه وتعالى بإجراء النيل**، وأمن الناس على دعائه وعظم ضجيج الخلائق من البكاء والنحيب والتضرع إلى الله تعالى ودام ذلك من بعد طلوع الشمس إلى آخر الساعة الثانية من النهار، ثم انصرفوا على ما هم عليه من الدعاء والابتهال إلى الله تعالى.	السلوك، تحقيق لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كمال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥م ، ج٣ ، ص٢٩ ، ٣٠ ؛ وجيز الكلام ، ج٢ ، ص٦٤٦
(٨٧٠هـ/١٤٦٥م)	توقف النيل عن الزيادة واستمر على ذلك ستة أيام متوالية سنة فقلق الناس من ذلك ورسم السلطان الظاهر خشقدم للقضاة والعلماء بالتوجه إلى المقياس **ويدعون الله تعالى** بالزيادة فبعث الله تعالى بالزيادة بعد عدة أيام فسر الناس بذلك واستمرت الزيادة حتى حصل الوفاء.	ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢، ص٤٤٠

٨٠٠هـ/١٣٩٧م بالقاهرة، ونشأ بها تحت كنف والده الذي كان يعمل بالخدم الديوانية، وتفقه بجماعة من علماء مصر وبرع في الفقه واشتغل فيه وشارك فيه ودرس وأفتى، وعرف بالفضيلة والكياسة وعد من فقهاء الشافعية، توفي سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١٢، ص١٠٢، ١٠٣؛ الدليل الشافي، ج٢، ص٧٨٠؛ النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٥٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٤٤٥.

(٨٩٥هـ/١٤٨٩م)	حدث قحط المطر ببيت المقدس حتى مضى غالب الشتاء وانزعج الناس لذلك وصاموا ثلاثة أيام ثم استسقوا بالصخرة الشريفة وخطب الخطيب شرف الدين بن جماعة خطبة بليغة **وتضرع وابتهل وضج الناس إلى الله بالدعاء** ودخلوا إلى الجامع الأقصى بالذكر والتهليل ثم انصرفوا ولم يسقوا في يومهم فجزع الناس لذلك **وتضرعوا إلى الله تعالى** .	العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٤٨

جدول رقم (٤)

كوارث أخرى

السنة	الدعاء	المصدر
(٧٢١هـ/ ١٣٢١م)	وقع حريق في ربع من أوقاف البيمارستان المنصوري واشتد الأمر والأمراء تطفئه ووقع الحريق في حارة الديلم بزقاق العريسة قريب من دار القاضي كريم الدين الكبير[١] واشتد هبوب الرياح فسرت النار في عدة أماكن وبعث كريم الدين بولده علم الدين عبد الله إلى السلطان الناصر محمد يعرفه فبعث عدة من الأمراء والمماليك لإطفائه خوفا على الحواصل[٢] السلطانية ثم خرج أمر الحريق عن القدرة البشرية وخرجت ريح عاصفة ألقت النخيل وغرقت المراكب ونشرت النار فما شك الناس في أن القيامة قد قامت وعظم شرر النيران وصارت تسقط في عدة مواضع بعيدة فخرج الناس وتعلقوا بالمآذن واجتمعوا في الجوامع والزوايا **وضجوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى** وخمدت النار وعاد الأمراء[٣].	المقريزي: السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص٢٢١؛

(١) القاضي كريم الدين الكبير: عبد الكريم بن هبة الله بن السديد، المعروف بكريم الدين الكبير، كان وكيل الملك الناصر محمد بن قلاوون ومدبر مملكته وناظر خواصه، وكان قبطيا وأسلم كهلا في دولة السلطان الظاهر بيبرس الجاشنكير، وبعد تولى النصر السلطنة جعله وكيلا له وأحبه وخلع عليه، وكان يثق به كثيرا حيث جعله يحج مع زوجته خوند طغاي، ثم انقلب عليه السلطان الناصر وأمر بإخراجه إلى الشوبك ثم إلى القدس ثم رجوعه إلى مصر وجهز إلى أسوان ثم وجد مشنوقا، فتوفى سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٦٦-٧٠؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٧، ص٣٤٥-٣٥٠؛ الدليل الشافي، ج١، ص٤٢٦.

(٢) حواصل: مفردها حاصل، لفظة تدل على المخزن أو المستودع أو خزان مياه . انظر : خليل بن شاهين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م ، ص١٢٢؛ عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، دار جروس برس، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٢٤؛ محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندى، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م ، ص١١١.

(٣) أصبح الناس في أسوأ حال فنزل النائب بسائر الأمراء وجميع من في القلعة وجميع أهل القاهرة ونقل الماء على جمال الأمراء ولحقه الأمير بكتمر الساقي وأخرجت جمال القرى السلطانية ومنعت أبواب القاهرة أن يخرج

		ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٩، ص ٦٥
(٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م)	حدث رعد وبرق أعقبته زلزلة عظيمة سمع حسها من نصف ميل عن حلب وهو حس مزعج يرجف القلوب فهُدِم من القلعة اثنان وثلاثون برجًا سوى البيوت فخرج أهل حلب إلى ظاهرها وضربوا الخيم وغلقت سائر أسواقها وفي كل ساعة يسمع دوي جديد ثم إنهم تجمعوا عن آخرهم **وكشفوا رءوسهم** ومعهم أطفالهم والمصاحف مرفوعة وهم **يضجون بالدعاء والابتهال إلى الله** برفع هذا المقت فأقاموا على ذلك أياما حتى رفع الله ذلك عنهم بعدما هلكت بتلك البلاد تحت الردم خلائق لا تحصى.	المقر يزي: السلو ك ، ج ٢، ق٣ ، ص ٦٥٢
(٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)	تواتر سقوط البرد بمصر مع ريح سوداء وشعث عظيم وبرق ورعد سهول ثم أعقب ذلك عالم شديدة الحر بحيث تطاير منها شرر أحرق رءوس الأشجار	المقر يزي:

منها سقاء ونقلت المياه من المدارس والحمامات والآبار وجمعت سائر البنائين والنجارين فهدت الدور من أسفلها والنار تحرق في سقوفها وعمل الأمراء الألوف وعدتهم أربعة وعشرون أميرا بأنفسهم في طفي الحريق ومعهم سائر أمراء الطبلخاناه والعشراوات وتناولوا الماء بالقرب من السقائين بحيث صار من باب زويلة إلى حارة الروم بحرا وحضر كريم الدين أكرم الصغير بمائتي رجل فكان يوما لم ير أشنع منه. المقريزي: السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص٢٢١ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٩، ص٦٥

	وزريعة الباذنجان وبعض الكتان حتى اشتد خوف الناس **وضجوا إلى الله تعالى** فنزل مطر غزير ثم برد فيه يبس لم يعهد مثله فكانت أراضي النواحي تصبح بيضاء من كثرة الجليد وهلك من شدة البرد جماعة من بلاد الصعيد وغيرها وأمطرت السماء خمسة أيام متوالية حتى ارتفع الماء في مزارع القصب قدر ذراع وعم ذلك أرض مصر قبليها وبحريها ففسدت بالريح والمطر مواضع كثيرة وقلت أسماك بحيرة نستراوة وبحيرة دمياط والخلجان وبركة الفيل[١] وغيرها لموتها من البرد .	السلوك ، ج ٢، ق٣ ، ص ٦٧٣
(٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)	بدت في بعض لياليه حمرة عظيمة في السماء كأنها الجمر وصارت في خلل النجوم كالعمد البيض حتى سد الأفق وخفي بسببه ضوء القمر فتباكي الناس وصرخوا خوفا وصعد المؤذنون المنابر فذكروا **ودعوا الله** وتزايد الضجيج **بالبكاء والدعاء والاستغفار .**	السخاوي: وجيز الكلام ، ج١، ص ١٨١
(٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)	حدث بحلب زلزلة عظيمة فخرب من الجهة الغربية أماكن كثيرة ثم كثرت الزلازل فيها، وفي السنة التي تليها زلزلت بحلب أيضا وكانت عظيمة وبقيت ساعة، **وجأر الناس بالدعاء والتوبة.**	ابن حجر العسقلاني

(١) بركة الفيل: كانت فيما بين مصر والقاهرة، وهي كبيرة المساحة، وعمر حولها الناس الكثير من الأبنية وصارت مساكنها من أجل مساكن مصر، واعتاد السلاطين الركوب فيها بالليل فقيل فيها:

انظر إلى بركة الفيل التي اكتفت بها المناظر كالأهداب للبصر

كأنما هي والأبصار ترمقها كواكب قد أداروها على القمر

المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٧٤٧؛ أندريه ريمون: القاهرة تاريخ وحضارة، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٩٤م ، ص١٢٤.

		: إنباء الغمر ، ج٢، ص ٢٦٩
(٨١١هـ/ ١٤٠٨م)	تزايد هبوب الرياح والعواصف الشديدة وظهر عقيب ذلك في السماء بعد مغيب الشفق حمرة عظيمة من جهة الغرب ثم اشتدت تلك الحمرة حتى صارت كضوء النار الموقدة ثم جاء وراء تلك الحمرة برق ساطع وصار كلما لمع من خلف الحمرة يخيل للناظرين أنها نار لا محالة ، ثم انتشرت تلك الحمرة حتى كادت أن تغطي ثلث السماء واستمر الحال على ذلك إلى نصف الليل فخاف الناس من ذلك **وابتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء** ، فصارت تلك الحمرة تتكشف من السماء قليلا قليلا حتى زالت وصحت السماء واتضح بها النجوم فأصبح الناس يتحدثون بما وقع في تلك الليلة من العجائب وقد قال القائل في ذلك : ما خاب عبد على الله الكريم له توكل صادقا في السر والعلن حاشاه أن يحرم الراجي إجابته إذا دعاه لكشف الهم والحزن .	ابن إياس: بدائع الزهو ر،ج١ ، ق٢، ص ٧٩٣ ، ٧٩٤
(٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)	هبت رياح تحمل ترابا أصفر إلى الحمرة وذلك قبل غروب الشمس، فاحمر الأفق جدا بحيث صار من لا يدري السبب يظن أن بجواره حريقا، وصارت البيوت كلها ملأى ترابا ناعما جدا يدخل في الأنوف وفي جميع الأمتعة، ثم لما تكاملت غيبوبة الشفق أسود الأفق وعصفت الريح وكانت مقلقة، فلو قدر أنها كانت تصل إلى الأرض لكان أمرا مهولا، **وكثر ضجيج الناس في**	بن حجر العسـ

	الأسواق والبيوت بالذكر والدعاء والاستغفار إلى أن لطف الله تعالى بإنزال المطر فتحولت الريح جنوبية باردة .	قلاني : إنباء الغمر ، ج٣، ص ٣٠١ ، ٣٠٢

الدعاء والوباء

تعرضت مصر والشام مرات عديدة للأوبئة والطواعين ، الأمر الذى دفعهم للجوء إلى الدعاء والتضرع إلى الله لرفعه، كما أدت الأوبئة والطواعين في هذا العصر إلى حدوث مناقشات بين الفقهاء من أصحاب المذاهب المختلفة في بعض القضايا الفقهية والتساؤلات الخاصة بالطاعون ، ومن التساؤلات أيضًا هل يشرع الدعاء برفع الطاعون والاجتماع بالناس لرفعه ؟ اختلف فقهاء العصر المملوكي حول مشروعية التجمع للدعاء برفع الطاعون.

فتشير النصوص في ذلك الصدد أنه شاع بالقاهرة سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) أن بعض الصالحين حين كثر الطاعون بالمحلة ذكر أنه رأى النبي (صلعم) في المنام وشكا إليه الحال فأمره بأن يدعو بهذا الدعاء "اللهم إنا نعوذ بك من الطعن والطاعون وعظيم البلاء في النفس والمال والأهل والولد[١].

وإمعاناً فى تداخل الدينى والشعبى يمكن أن نلاحظ ما حدث فى وباء سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) حيث كان في دمشق وباء عظيم فبلغ فى اليوم ألفا ومائتى إنسان ، وبطل إطلاق الموتى من الديوان، وصارت الأموات مطروحة فى البساتين على الطرقات، وهنا يتجلى الجزء الشعبى فى الرواية من الرؤى والأحلام فيستمر النص بقوله " فقدم على قاضى القضاة تقى الدين السبكي قاضى دمشق رجل من جبال الروم، وأخبر أنه لما وقع الوباء ببلاد الروم رأى فى نومه رسول الله (ص) فشكا إليه ما نزل بالناس من الفناء فأمره (ص) أن يقول لهم اقرءوا سورة نوح ثلاثة آلاف وثلثمائة وستين مرة، وادعوا الله فى رفع ما أنتم فيه " والدعاء بهذا الدعاء المبارك "اللهم سكن هيبة صدمة قهرمان الجبروت بألطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت، حتى نتشبث بأذيال لطفك، ونعتصم بك عن إنزال قهرك، يا ذا القوة والعظمة الشاملة، والقدرة الكاملة، ياذا الجلال والإكرام" ، وأنه كتب بها عدة نسخ بعث بها إلى حماة وطرابلس ودمشق ، فعرفهم ذلك فاجتمع الناس فى المساجد للدعاء، وفعلوا ما ذكر لهم، وتضرعوا إلى الله تعالى وتابوا إليه من ذنوبهم، وذبحوا أبقارا وأغناما كثيرة للفقراء مدة سبعة أيام، والفناء يتناقص كل يوم حتى زال،

---

(١) ابن حجر العسقلاني : بذل الماعون فى فضل الطاعون ، دار العاصمة ، الرياض ، د.ت ، ص٣٣٢؛ إيمان صلاح: فقه الطاعون فى مصر والشام فى عصر سلاطين المماليك ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، الكويت ، عدد خاص بعنوان الأوبئة عبر التاريخ ، ج٢، ٢٠٢٠، ص٤٨ .

فلما سمع القاضى والنائب ذلك نودى بدمشق باجتماع الناس بالجامع الأموى، فصاروا به جمعا كبيرا وقرءوا صحيح البخارى فى ثلاثة أيام وثلاث ليال، ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى وكشفوا رءوسهم وضجوا بالدعاء[١].

إذن فعناصر الرواية الشعبية السابقة كان بها الرؤية للرسول صلى الله عليه وسلم والدعاء والتضرع والذبح لأجل الخلاص من الخطايا التى تسببت فى الوباء حسب الرؤية الشعبية.

ومن الجدير بالذكر فقد كان الدعاء برفع الوباء يتم إما بعد قراءة القرآن الكريم أو ختم قراءة البخاري بالمساجد ، ففي سنة (٧٩٠هـ/١٣٨٨م) بعد تزايد الموت بالأمراض الحادة والطاعون حتى بيعت البطيخة من الصيفي بخمسين درهما قيمتها يومئذ ديناران وكان أكثر الموت في المماليك السلطانية حتى زاد كل يوم على عشرين نفسا منهم، تم ندب قاضي القضاة محمد بن بنت الميلق عدة من القراء والمحدثين فاجتمعوا طوائف وصارت طائفة تقرأ كتاب الله العزيز وطائفة تقرأ صحيح البخاري ودعوا الله سبحانه وتعالى في رفع الطاعون ثم اجتمعوا أكثر من عددهم الأول فاستغاثوا بالجامع الأزهر، وكان وقتا عظيما فارتفع الوباء بعد أن بلغ في كل يوم ثلاثمائة نفس [٢].

ويشير أحد الفقهاء أن الفقهاء كانوا يأمرون الناس بالصوم ثلاثة أيام ويخرجون بهم العامة حتى العجائز والشيوخ والأطفال والحيوانات إلى مكان خارج البلد أو إلى الصحراء حفاة الأقدام مكشوفي الرؤوس يضجون إلى الله تعالى بالعويل والبكاء ، والعلماء والصلحاء أمامهم ، ومن الممارسات المصاحبة لهذا الأمر أيضاً أن يحمل كل واحد منهم مصحفاً ليكون شفيعًا لهم عند الله تعالى لكشف الطاعون عنهم ، ويخرج معهم السلطان وكبار أمراء الدولة ، ومن المثير أن تفسير هذه الممارسات للعناصر الشعبية لأن الله تعالى يحب كسر الجبارين حتى يتواضعوا لعظمته ويظهر لهم تحقير شأنهم بالنسبة لجلالته[٣]، ويمكن أن نلاحظ هذا أيضاً فى أحداث

---

(١) المقريزي: السلوك ، ج ٢، ق٣ ، ص٧٨٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٠، ص٢٠٣-٢٠٥

(٢)ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص٣٥٤؛ الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان، ج١ ، ص١٧٠؛ إيمان صلاح: فقه الطاعون، ص٤٧.

(٣) إيمان صلاح: فقه الطاعون، ص٤٩

طاعون سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م) وذلك عندما أمر السلطان المؤيد شيخ الخطباء إذا وصلوا إلى الدعاء باسمه في آخر الخطبة أن يهبطوا من المنبر درجة ليكون ذكر الله ورسوله (ص) بمكان أعلى وكان مقصده من ذلك التواضع-كما سبق الإشارة- ، ففعل بذلك بعض الفقهاء ومنهم ابن حجر العسقلاني ولم يوافق البعض الآخر ومنهم جلال الدين بن البلقيني وقال هذا بخلاف السنة[١].

وحسب بعض التفسيرات فإن مثل هذه الشعائر تتمثل فى الإذعان والخضوع والانكسار وطرح الشكوى حتى يتم تلبية الدعوة من قبل الولى لزائريه ، ذلك الذى يأتى من خلال إيمان خاص من المريدين بأن روح الوالى حاضرة ، وتأتى وتحوم حول الزوار والمكان وتشاهد وتعى كل شىء ، وحيث إن الولى مقدس ، فإن الدعاء له ليس بينه وبين الله حجاب ، أو هو مقبول وملبى بطبيعة الحال [٢] .

وفي وباء سنة (٨٢٢هـ/١٤١٩م) أفتى بعض الفقهاء بعدم جواز الدعاء ، وقد أحدث ذلك إشكالاً فعلى سبيل المثال نجد أن ابن حجر العسقلاني رأى مشروعية الدعاء ويستحب لأهل الأرض المسالمة الدعاء لأهل الأرض التي يقع بها الوباء[٣] ، وكذلك الشيخ ولي الدين الملوي وافق هذا الرأي فكتب جزءًا في الدعاء برفع الوباء، وقد رأى البعض وجهة نظر أخرى حيث رأى أن الدعاء بدعة لا أصل له لأنه من وجهة نظره لم يثبت عن الرسول(ص)[٤] ، وفى ذات العام كان الوباء قد انتشر فى القاهرة وفى بقاع أخرى فى مصر فخرج السلطان ومعه جمع من العلماء إلى الصحراء خارج القاهرة حيث وافاه هناك خلق كثير ورفعوا أكفهم بالدعاء [٥] .

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٢ ، ص٢٧ ، ٢٨ ؛ إيمان صلاح: فقه الطاعون، ص٤٩

(٢) شحاتة صيام : الطهر والكرامات ، قداسة الأولياء ، روافد للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١١ .، ص ١٧٧ .

(٣) ابن حجر العسقلاني : بذل الماعون ، ص٣١٥-٣١٩.

(٤) إيمان صلاح: فقه الطاعون، ص٤٧ ؛ شلبي الجعيدي : أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على المكتبة التاريخية في العصر المملوكي بحث منشور بالمؤتمر الاقليمي الأول لقسم التاريخ، كلية الاداب، جامعة المنصورة، ٣-٤ابريل ٢٠١٦، ص٣٥٨.

(٥) أمينة البندارى : عوام وسلاطين ، ص ٢٢١.

أما عن وباء سنة (٩٢١هـ/١٥١٥م) فقد أمر النائب باشهار التقى بصيام ثلاثة أيام، والتوبة والخروج إلى الصحراء وزيارة المزارات والدعاء لينقطع الوباء،ونودي أن لا يفتح أحد حانوته، إلا الخباز والطباخ، وأن يخرج العلماء والصلحاء بالتهليل والتكبير ليدعوا الله تعالى، فخرج النائب والقضاة والمشايخ وقرءوا في الربعات، والصالحون يذكرون الله تعالى ويدعون [١].

وعلى الرغم من أن ابن حجر العسقلاني أفتى بمشروعية الدعاء لرفع الوباء إلا أنه اعتبر الاجتماع لذلك كما في الاستسقاء بدعة لم يقل بها أحد من السلف ولم ترد في خبر أو أثر عن المحدثين أو الفقهاء[٢] .

الدعاء والاستشفاء :

تجلت ظاهرة الدعاء فى من ممارسات الكثير من المجتمع المصري والشامي ، وبطبيعة الحال كان الاستشفاء أحد هذه الأوجه ، لقد آمنت العناصر الشعبية أن الغيبى هو أحد الحلول لشفاء أمراضهم ، ولذلك عملوا على التداوي بالدعاء وإخراج الصدقات للصالحين والفقراء للدعاء لهم ليذهب الله عنهم المرض والتعب[٣] ، ومثالا على ذلك أنه سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م) توفى قاضي القضاة محمد بن أبي جرادة[٤] بعد مرض ابتلى به، فكان يخاف من الموت خوفا شديدا أثناء الطاعون ودفعه خوفه إلى الاستكثار من الرقى والدعاء والأدوية[١].

---

(١) ابن طولون: مفاكهة الخلان ، ج١، ص٣٠٧ .

(٢) بذل الماعون ، ص٤٤ .

(٣) ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م ، ج٢، ص٢١١؛ إيمان صلاح: نساء العامة ، ص٣٤٧

(٤) محمد بن أبي جرادة : محمد بن عمر بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن محمد بن أبي جرادة، العقيلي الحلبي نزيل القاهرة ناصر الدين ابن العديم الحنفي، ولد بحلب ، وقدم القاهرة مع أبيه وهو شاب فشغله في عدة فنون على عدة مشايخ، وقرأ بنفسه على شيخنا العراقي قليلا من منظومته، تولى منصبه بالرشوة ، وصار في ولايته القضاء كثير الوقيعة في العلماء قليل المبالاة بأمر الدين كثير التظاهر بالمعاصي ولا سيما الربا سيئ المعاملة جدا أهوج متهورا، وقد امتحن في الدولة الناصرية على يد الوزير سعد الدين البشري وصودر وهو مع ذلك قاضي الحنفية ثم قام في موجب قتل الملك الناصر قياما بالغا ولم ينفعه ذلك لأنه ظن أن ذلك يبقيه في المنصب فعزل، وابتلى بالقولنج الصفراوي، فتسلسل به الأمر إلى أن اشتد به الخطب وتوفى به. ابن

ومن ممارسات الطب الروحانى المتعلقة بالدعاء في ذلك العصر أنه إذا تعرض شخص للضيق ووجع القلب نتيجة لمحنة تعرض لها فعليه أن يلتزم أيضاً بصيغة دعاء معينة [٢].

هذا وقد وذكر ابن الحاج أن من أشكال الطب الشعبي "الطب الروحاني" الذي استند على الدعاء والرقى، والتداوي بالقرآن الكريم ، ومجرد الاستشفاء بالأئمة أو ذكر أسمائهم أو التوسل بالنبي (ص) وزيارته أو التبرك بالأولياء والأضرحة طلبا للشفاء ، ويؤكد ابن الحاج أنه على المريض في هذه الحالات قوة اليقين والتصديق فيمشي على قاعدة أهل السنة والجماعة في أن الأشياء لا تؤثر بذواتها ولا بخاصية فيها بل بمحض اعتقاده بأنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى ، وأنه لا تأثير لشيء من المحدثات في شيء فالدواء لا ينفع بنفسه بل الشفاء وغيره خلق من خلق الله سبحانه وتعالى[٣].

حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٣، ص١١٨ ، ١١٩؛ الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج٢ ، ص٣٧٣ ، ٣٧٤

(١) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٣، ص١١٩؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان ، ج٢ ، ص٣٧٩

(٢) بأن يسبح مائة مرة ويحمد مائة مرة ويكبر مائة مرة ويقول اللهم صلِ وسلم على محمد النبي الأمي مائة مرة ويقول لا إله الا الله وحده لا شريك له مائة مرة ثم يصلي اثنتي عشرة ركعة ويدعو بعدها لما ظهر له ثم يصلي ركعتين ثم يقرأ في الختمة خمسين آية من أخر سورة البقرة ثم يصلي أربعاً وعشرين ركعة ثم يدعو بهذا الدعاء (اللهم لا فرج إلا فرجك ففرج عنا كل شدة وكربة يا من بيده مفاتيح الفرج واكفنا شر من يريد ضرنا من إنس وجن وادفعه عنا بيدك القوية بإذنك وقدرتك إنك على كل شيء قدير) ، فيزول همه وكربه ويرتاح قلبه ويتسع صدره – كما ذكر أحد فقهاء العصر المملوكي . انظر : ابن الحاج : المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، [د.ت].، مج٢ ، ج٤ ، ص١٢٩ .

(٣) ابن الحاج : المدخل ، مج٢ ، ج٤ ، ص١١٩ ؛ إيمان صلاح : ممارسات الاستشفاء الشعبية في مصر من خلال كتاب المدخل لابن الحاج، بحث منشور بمجلة الاستواء، "عدد خاص بأبحاث المؤتمر الدولي الرابع لدراسات التراث الشعبي ٢٠-٢٢ فبراير"، مركز البحوث والدراسات الإندونيسية، جامعة قناة السويس، ٢٠١٧م، ص٢٢

مواضع استجابة الدعاء فى الذهنية الشعبية المملوكية :

من خلال استقراء العديد من المصادر المعاصرة للعصر المملوكى وبقراءة الذهنية الشعبية آنذاك وجد أن هناك اعتقادات قوية وشائعة بأن بعض الأماكن كانت مخصوصة لإجابة الدعاء ولذلك قصدها أفراد المجتمع في العصر المملوكي للدعاء عندها [١].

فعلى سبيل المثال كان قبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء وكذلك سجن نبى الله يوسف الصديق عليه السلام ومسجد سيدنا موسى بطراً ، فكان من تصيبه مصيبة أو لحقته ضائقة يمضى إلى تلك المشاهد يدعى ويبتهل ، واعتقد عامة المصريين اعتقاداً كبيراً في إجابة الدعاء عند قبرها [٢] وقد حوت قرافة القاهرة الكثير من مشاهد الأولياء والصالحين ذوي الكرامات الشهيرة [٣]. والتي كانت مزاراً وملجأ لعامة أهل مصر وخاصتها أيضاً .

كما كان قبر إبراهيم الخليل عليه السلام واحداً من أهم المواضع التى اعتقدوا أنها مخصوصة لاستجابة الدعاء فضلاً عن ذلك فقد آمنوا بأنه لم يتوسل به أحد في شيء إلا أجابه ولم يبرح من

---

(١) كما شاعت الروايات حول مواضع الاستجابة ، تواترت روايات أخرى حول أوقات الاستجابة ، فعلى سبيل المثال يذكر اليونيني أنه من الأوقات المستجاب بها الدعاء الليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان المبارك وصادف أنها كانت ليلة الجمعة حضر فيها ختمة للكتاب العزيز بدار الحديث الأشرفية عند الشيخ جمال الدين مع الكثير من الصالحين فباتوا ليلتهم جميعها في صلاة، وخشوع وتضرع إلى ربهم، وكانت ليلة معتدلة هواءها بالأنوار، أرجاءها قد أزهرت مصابيحها ونجومها، واعتدل حتى طاب نسيمها، ولم يرتفع لهم في تلك الليلة إلا عمل من الله صالح، فلما ختموا الكتاب العزيز، ولصدورهم بالبكاء أزيز، وافق فراغهم للوقت الذي فيه ربنا إلى السماء ينزل فيستجيب لمن دعاه، فيتعطف عليه ويقبل دعاءه، إذ ذاك أخذ الحاضرون بدعاء خاشع القلب حزين دعاء ذرفت منه العيون، ووجلت منه القلوب، ورقت بعد قسوتها حتى كادت تذوب، ورجى الله تعالى بالتأمين يديه، وأسبل دموعه على خديه، ويذكر اليونيني أنه عندما رأى ما كان من جمعهم وما صدر من جميل صنعهم، لم يشك أن الله قد استجاب دعاءهم، وحقق ظنهم به ورجاءهم، وغلب على ظنه أنها ليلة القدر التي جعلها الله خيرا من ألف شهر،ودعا الله ورجاه أن يغفر له بهم .انظر : اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٤ ، ص٢٩٨ ، ومن الحوادث التي تدلل على الأوقات أيضًا أنه صادف توقيت انتصار المسلمين في دخول يوم الجمعة أصبح الناس يقولون هذا يوم كريم ... موسم عظيم، يوم تجاب فيه الدعوات، وتصب البركات، فطوبى لمن عاش حتى حضر هذا اليوم، الذي انتعش فيه الإسلام وارتأس . انظر : ابن طولون: مفاكهة الخلان ، ج٢، ص٣٥٩ .

(٢) المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٤٠-٤٤١.

(٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير، سلسلة ذخائر العرب ٧٧، دار المعارف، القاهرة، (د.ت) ، ص ٢٠ .

مكانه حتى يرى الإجابة في ذلك عاجلا أو آجلا[١]، وحسب إحدى الروايات المعاصرة أنه جربه في أمر وقع له من أمور الدنيا فكان يتوقع الهلاك منه فتوجه إلى الضريح المشهور بأنه قبر إبراهيم الخليل عليه السلام وتعلق بأستاره ودعا الله تعالى فيما كان يرجوه فما كان بأسرع من أن فرج الله عنه كربته ولطف به واستجاب دعاءه[٢].

بالإضافة إلى ما سبق يأتى أيضاً موضع كرسي سليمان كأحد الأماكن المشهورة عند العوام بإجابة الدعاء والتي قصدها البعض في هذا العصر ، وهو داخل القبة المعروفة بقبة سليمان عند باب الدويدارية[٣]، ومن المقامات المقصودة بالدعاء أيضًا في عصر سلاطين المماليك قبة المعراج ومقام النبى صلى الله عليه وسلم وهو مقام رمزى شمال قبة الصخرة [٤] "

وكان محراب داود عليه السلام ، بظاهر الجامع في صحن المسجد من جهة الشرق في السور القبلي محراب كبير وهو المشهور عند الناس أنه محراب داود عليه السلام وهو بالقرب من مهد عيسى والدعاء عنده مستجاب ويذكر أحد معاصري العصر المملوكي الذى تأثرت رواياته كثيراً بالاعتقدات الشعبية حول مواضع استجابة الدعاء أنه قد جرب ذلك ودعا الله هناك وسأله في أشياء فاستجاب له بفضله وكرمه[٥].

بالإضافة إلى ما سبق وحسبما نقلت روايات أخرى أن الدعاء عند قبر الشيخ محمد بن أبي جوز[٦] مستجاب [٧] ، وكذلك قبر نور الدين محمود الشهيد مشهورًا بإجابة الدعاء عنده

---

(١) العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص٥٦

(٢) العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص٥٦ ، ٥٧

(٣) العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص١٢٣ ، ١٢٤

(٤) من الأدعية المخصوصة فى هذا المكان اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا" . انظر : العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٢٠ .

(٥) العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص١٤

(٦) الشيخ محمد بن أبي جوز : كان رجلاً صالحاً من أولياء الله تعالى توفي بعد سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م بالقدس الشريف ودفن بماملا قبلي البركة بالقرب من باب القلندرية. العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص١٦٤

(٧) العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص١٦٤

وكان يزار في ذلك العصر[١] ، ومما يدل على ذلك أنه في سنة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) أخرج أحد أهل الذمة كنز الفرنج من كنيسة مريم بدمشق فصدمته دابة فسقط ثم مات، وظهر بذلك إجابة دعاء شيخ الجواخين فإنه قد توعده بإيقاع ضرر من جهة الدولة فتوجه لضريح نور الدين محمود بن زنكي فما كان أسرع من إتلافه عقب الدعاء عليه [٢].

ومن الغريب أن بعضهم اعتبر بعض قبور رجال السلطة مخصوصة لاستجابة الدعاء وأبرز الأمثلة على ذلك هو ما اشتهر حول الدعاء عند قبر الأمير أيدغدى بن عبد الله الصالحي مستجاب الدعاء [٣] حيث يشير أحد معاصري العصر أنه كان من أكابر الأمراء فلما أضر أقام بالقدس الشريف وولي نظره فعمره وثمره وكان ناظر الحرمين في أيام الظاهر بيبرس إلى أيام المنصور قلاوون وهو الذي بنى المطهرة قريبا من المسجد الشريف النبوي فانتفع الناس بها في الوضوء وتيسيره ، ومن إسهاماته أيضاً التى شهدت بها إحدى النصوص الهامة أنه أنشأ بالقدس الشريف رباطا بباب الناظر وآثارا حسنة[٤].

فضلاً عن الدعاء عند بعض مقابر المشايخ الصالحين مثل الدعاء عند قبر الشيخ أبو عبد الله البطائحي [٥] الذى اعتقد العوام والخواص أنه مستجاب وهو ما أقره العليمى الذى انفرد بذكر تفاصيل هذه القضية [٦] .

واعتاد أهل قنا الدعاء عند قبر الشيخ عبد الرحيم القنائى يوم الأربعاء، فيمشي الإنسان حافيًا مكشوف الرأس وقت الظهر، ويدعي بهذا الدعاء "اللهم إني أتوسل إليك بجاه نبيك محمد

---

(١) أبي الفدا: المختصر، ج٤، ص١٠٦

(٢) السخاوي: وجيز الكلام ، ج٣، ص١٠٧٣

(٣) علاوة على ذلك أنه كان حسن السيرة وطيبة أيامه وكان يباشر الأمور بنفسه وله حرمة وافرة ، وبلط صحن الصخرة الشريفة وعمر المغلق ببلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام على باب المسجد الشريف الذي بداخله الأفران والطواحين وهو مكان من العجائب يغلق عليه باب واحد والحاصل الذي يوضع فيه القمح والشعير علوه وكان سماط الخليل عليه الصلاة والسلام في كل يوم خميس كيالج قمحا وكيلجة عدسا فما مات إلا والسماط في كل يوم غرارتان قمحا. العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٢٧٠ ، ٢٧١.

(٤) العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٢٧٠ ، ٢٧١

(٥) أبو عبد الله البطائحي : هو الشيخ القدوة الزاهد العابد أبو عبد الله محمد البطائحي صالح مشهور للناس فيه اعتقاد ، توفى في سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م وقبره في مشهد بحارة الباشقردي. العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٧٠

(٦) الأنس الجليل، ج٢، ص٧٠

(ص)، وبأبينا آدم وأمنا حواء، وما بينهما من الأنبياء والمرسلين، وبعبدك عبد الرحيم، اقض حاجتى" ، ويذكرُ حاجته[١].

متخصصى الأدعية فى العصر المملوكى :

كان التمسك بالدعاء فى العصر المملوكى ظاهرة واضحة ، وربما يمكن أن يكون هذا التمسك انعكاساً للحالة الدينية والسياسية والاجتماعية والمناخ الثقافى السائد آنذاك ، وإمعاناً فى ترسيخ الحديث عن الدعاء كظاهرة فقد برز فى العصر المملوكى دعاة مخصوصون بعضهم تكسب من مهنة الدعاء للناس ، وبعضهم اشتهر بكرامات مخصوصة له وكان يوجد ما يسمى بكافل الأدعية[٢] .

يمكننا إذن أن ننتقل إلى فهم أكثر اتساعاً بناءً على إحدى الدراسات الرائدة والتى تقول " والناس إذ يلجئون إلى أولياء الله فإنهم يختارون ، عادة ، أبعدهم صيتا في تحقيق الآمال أو في تخفيف الآلام ، وهم ينعتونه بأحسن الصفات ويخلعون عليه أرفع الألقاب ، ويدللون على علو قدره بقولهم " إن سره باتع ". وبذلك فإن الأولياء يتدرجون في المنزلة والمكانة عند الناس حسب ما ينالهم من صيت ، وما تضفى عليهم الروايات والأساطير التي تحكى عنهم أو تصف آيات إعجازهم " [٣] .

وكيفما كان الأمر فقد ذكر أحد النصوص أنه طِيف بمحمل الحاج على ما جرت به العادة وركب الناس والقضاة والدعاة ووجوه البلد[٤] ، هذا النص ينقلنا لفهم أكثر اتساعاً بأن الدعاة كانوا فئة معروفة ومحددة المهام والأشخاص فى تلك الفترة .

ومن المثير أن بعض السلاطين كانوا يلجئون لهؤلاء الدعاة ، فعلى سبيل المثال عندما قدم السلطان الأشرف خليل(٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م) دمشق من فتح عكا طلع إلى الشيخ

---

(١) الإدفوي: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م ، ص٣٠٠؛ إيمان صلاح: نساء العامة ، ص٣٧٧ ، هامش٣

(٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص١١٧

(٣) سيد عويس : رسائل إلى الإمام الشافعى ظاهرة إرسال الرسائل إلى ضريح الإمام الشافعى " دراسة سوسيولوجية " ، دار الشايع ، القاهرة ، الكويت ، أمستردام ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨ ، ص ٢٥ .

(٤) البرزالي: المقتفي ، ج٣، ص٣٠١

إبراهيم الأرموي[١] وزاره وطلب منه الدعاء [٢] ، وكذلك كان السلطان الناصر فرج يسأل الشيوخ بالدعاء له بالنصر[٣].

كما خصص بعض الدعاة أدعية مخصوصة لسلاطين فقد كان هذا الدعاء مخصوصاً للمنصور قلاوون "اللهم ثبت قواعد ملكه، واجعلها كلمة باقية فى عقبه" ، فاختصت هذه الدعوة بالسلطان[٤].

وقد أمدتنا العديد من المصادر عن أسماء هؤلاء المشايخ حيث اعتقد الكثير من المجتمع المصري في العصر المملوكي ببركة دعاء بعض الصالحين[٥]، كالشيخ جلال الدين أبو بكر بن يوسف الأنصاري إمام الجامع الأزهر الذى اعتقد المصريين فيه الخير وكانوا يتبركون بدعائه[٦] ، وكذلك الشيخ علي السطيح كان للعوام فيه اعتقاد، ويطلب منه الدعاء لهم ، وانتشرت روايات شعبية مفادها أن نوراً ظهر على وجهه فتزايد اعتقاد الناس فيه وهرعوا لزيارته لطلب الدعاء منه[٧].

أضف إلى الأسماء السابقة الشيخ المعتقد محمد الكويس بخانقاة بسرياقوس، وقد اشتهر كونه دعا للسخاوي[٨] ، وكذلك ابن عز القضاة[١] فكان ممن يرجو بركة دعائه[٢] ، ومجبر الدين بن

---

(١) الشيخ إبراهيم الأرموي : الشيخ الزاهد العابد إبراهيم بن عبد الله بن يوسف بن إبراهيم بن سليمان أبو إسحاق الأرمني، ويقال الأرموي، ولد بجبل قاسيون، سمع من الشيخ الموفق وابن الزبيدي وغيرهما، وصفته النصوص بأنه كان صالحا خيرا كبير القدر مقصودا للتبرك، وتوفي سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م وطلع إلى جنازته ملك الأمراء والقضاة وحمل على الرءوس . الكتبي: فوات الوفيات ، ج١، ص٣١

(٢) الكتبي: فوات الوفيات ، ج١، ص٣١

(٣) ابن حجي: تاريخه، ج٢، ص٥٩١

(٤) ابن أيبك الدواداري: الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية وهو الجزء الثامن من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق أولرخ هارمان، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٧١م ، ص٢٦٧.

(٥) الإدفوي: الطالع السعيد ، ص٦٤٩

(٦) المقريزي: السلوك ، ج٢ ، ق٢ ، ص٣١٥

(٧) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٥، ص٢٨٢ ، ٢٨٣

(٨) السخاوي: وجيز الكلام ، ج٢، ص٧١٠

الوزان[٣] الذى وصفته النصوص بأنه كان شيخا مباركا، كثير التلاوة، له ورد من الليل، وله دعوات مأثورة[٤].

ومن الواضح أن هناك أسماء عديدة اشتهرت بين الأوساط الشعبية باستجابة الدعاء أو التوسم فى استجابة دعائه[٥]، كالشيخ عبد القادر النواوي [٦] ، ولم يقتصر الأمر على الأوساط الشعبية فقط بل شاع الأمر أيضاً فى أوساط الطبقات العليا ، فقد تردد الخواص على الأخير وكانوا يسألونه الدعاء ويتبركون به ، وكانت له خصوصية شعبية كبيرة تحديداً عند أهل بيت المقدس [٧] .

---

(١) ابن عز القضاة : إسماعيل بن علي بن محمد بن عبد الواحد، الشيخ فخر الدين أبو طاهر المعروف بابن عز القضاة، ولد سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م كان في مبدأ أمره يتعانى الخدم الديوانية، وكان من جملة من يدخل على الملك الناصر صاحب دمشق مع الشعراء والندماء، ، واشتهر بالخير والصلاح، وصار للناس فيه اعتقاد إلى أن توفى سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م وحمل إلى جامع دمشق. وكانت جنازته عظيمة، ودفن بتربة أولاد الزكي، ولم يخلف شيئاً من الدنيا وقرأ الناس حوله القرآن، وتلوا ختمات كثيرة عَلَى قبره، وتفجع الناس عَلَى فقده، وكان له فضيلة. ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج٢، ص٤٠٨ ، ٤٠٩

(٢) ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج٢، ص٤٠٩

(٣) مجبر الدين بن الوزان: سمع من الشيخ عماد الدين أبي بكر عبد الله بن الحسن بن الحسن بن النحاس الأنصاري، ثم صحب الشيخ تاج الدين عبد الرحمن واشتغل عليه بالفقه ، وسمع معه الحديث من خطيب مردا، والقاضي صدر الدين ابن سني الدولة، والخطيب عماد الدين ابن الحرستاني، وزين الدين خالد، وابن عبد الدائم، وغيرهم. وسمع صحيح مسلم عن مالك من ابن البرهان وخدم في جهات الكتابة مدة طويلة، وفي أواخر عمره توجه إلى حماه وحدث بها بصحيح مسلم وغيره وحدث بحلب، ، له أذكار وأوراد يحافظ عليها، وعنده حسن خلق ومروءة وافرة وتعهد للإخوان والأصحاب. البرزالي: المقتفي ، ج٤، ص٤٠٤

(٤) البرزالي: المقتفي ، ج٤، ص٤٠٤

(٥) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٩، ص٣٠٣

(٦) الشيخ عبد القادر النواوي: زين الدين عبد القادر بن محمد بن حسن النواوي الشافعي، ولد في سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م وقد قرأ وسمع باليمن بزبيد وأرض الحجاز واشتغل وتلا بالسبع وفضل وانقطع عن الناس، وكان رجلا صالحا صوفيا مقرئا عالما فاضلا له حظ من صلاة وصوم وعبادة، وكان ممن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توفي في سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م وحمل تابوته على الرؤس ودفن بماملا وكانت جنازته حافلة العدل . العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص١٩٠ ، ١٩١.

(٧) العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص١٩١

واستمراراً فى الطرح السابق فقد كان أكابر الأمراء المماليك يترددون إلى ابن النقيب المفسر[١] ويسألونه الدعاء [٢]، كما اعتقد الكثيرون أن الإمام محمود بن الحمصي[٣] مجاب الدعوات له اعتقاد به[٤]،وكان الشيخ الزاهد أبو بكر بن علي [٥] من كبار الأولياء الذين يُرجَى دعاؤهم[٦] ، وكان الناس يعتقدون أيضاً فى خصوصية الشيخ ابن الفخار فى الاستجابة [٧] ويسألونه الدعاء[٨].

(١) ابن النقيب المفسر: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين البلخي الأصل المقدسي الحنفي، المعروف بابن النقيب أحد الأئمة، ولد سنة ٦١١هـ/١٢١٤م ، ودخل القاهرة ودرس بالعاشورية ثم تركه وأقام بالجامع الأزهر مدة ، وانشغل التفسير وصنف تفسيرا حافلا جمع فيه خمسين مصنفا وذكر في أسباب النزول والقراءات والإعراب واللغات والحقائق وعلم الباطن، قيل إنه في خمسين مجلدة، وتوفي سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م . الكتبي: فوات الوفيات ، ج٣، ص٣٨٣

(٢) الكتبي: فوات الوفيات ، ج٣، ص٣٨٣

(٣) الإمام محمود بن الحمصي : كان إماما عالما فاضلا، متقنا بارعا، فقيها عارفا، ورعا زاهدا، متقللا من الدنيا، صاحب معاملات وكرامات، مجاب الدعوات، صحيح الاعتقاد، وصفته النصوص بأن له من الكرامات الظاهرة، والأحوال الباهرة، دفن بمقابر باب سطحاء ظاهر بعلبك. اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٤ ، ص٢٨٠

(٤) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٤ ، ص٢٨٠

(٥) أبو بكر بن علي : الشيخ الإمام الزاهد العابد الخاشع الناسك أبو بكر بن علي بن عبد الله بن محمد الشيباني الموصلي ثم الدمشقي الشافعي ، قدم من الموصل وهو شاب وعلا ذكره وصار يتردد إليه نواب الشام ويمتثلون أوامره وحج غير مرة وكان من كبار الأولياء جمع بين علمي الشريعة والحقيقة ورزق العلم والعمل، وقد زاره السلطان الظاهر برقوق في منزله بالأمينية بجوار سور المسجد الأقصى الشريف من جهة الشمال ، وله مصنفات كثيرة في التصوف وغيره، توفي بالقدس في سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م ودفن بماملا . العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص١٦٤

(٦) العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص١٦٤

(٧) الشيخ ابن الفخار: أبو عبد الله محمد بن محمد بن ميمون الجزائري المالكي المعروف بابن الفخار، روى عنه أنه من أهل الخير والصلاح ويؤثر عنه كرامات وله إلمام بالعلم وجاور بالمدينة سنوات وبمكة سنة وأكثر وبها مات ودفن يوم الجمعة قبل صلاة العيد. ابن حجي: تاريخه، ج١، ص٣٥٣

(٨) ابن حجي: تاريخه، ج١، ص٣٥٣

وفي ذات السياق فقد اشتهر محمد بن صدقة وذاع صيته كأحد المتخصصين فى الدعاء ، حتى أن الأكابر كانوا يهرعون لزيارته ويطلبون الدعاء منه ، [١] ، وكذلك إبراهيم الغنام في نواحي حى الحسينية والذى كان معتقداً للخاصة والعامة مشهوراً بالصلاح ، ودعا للسخاوي وكان كثير المحبة له والإقبال عليه فكلما اجتمع به بادر بالدعاء له وكان يصلي معه الجمعة غالبا بجامع الأنور وليستأنس به ورغبة في دعائه واغتناما لرؤيته[٢]، وكذلك ابن حامد[٣] الذى كان مقصودا بالدعاء والتبرك به[٤] ، وكان مسلم البرقي البدوي[٥] مقصودا للزيارة والدعاء والتبرك به [٦]، وكانت الناس ترجو بركة دعاء ابن عز القضاة لما ظنت من عناية الله به[٧] ، حسبما ذكر النص .

بالإضافة إلى شيوع العديد من الأخبار حول كرامات بعض المشايخ والصالحين فى استجابة الدعاء فى هذا الوقت مثل الشيخ عمر البسطامي [٨] ، وأحمد ابن رسلان[٩] الذى وصفته بعض

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٧، ص٢٧٠

(٢) السخاوي: الضوء اللامع ، ج١، ص١٨٨ ، ١٨٩

(٣) ابن حامد : هو محمد بن محمد بن محمد بن حامد بن بدران ويعرف بابن حامد ببيت المقدس ونشأ به فحفظ القرآن والشاطبية والمنهاج والألفية والملحة ، وكان صالحا زاهدا ناسكا قانعا باليسير دينا خيرا منجمعا عن الناس على طريق السلف طارحا للتكلف تعفف حتى عما كان باسمه من الوظائف ولزم بيته إلا إلى المسجد أثنى عليه غير واحد وانتفع به ولده بل أخذ عنه الفضلاء، وحدث بأشياء وصار خاتمة من يروي عن جماعة من شيوخه بتلك النواحي، ومات هو بعد أن ثقل سمعه وأقعد قبل وفاته بنحو ثلاثة أشهر ودفن من يومه بمقبرة البسطامية عند عمه العلاء علي بن حامد. السخاوي: الضوء اللامع ، ج٢، ص١٧٤

(٤) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٢، ص١٧٤

(٥) مسلم البرقي البدوي: هو شيخ الفقراء كان رجلا صالحا كثير التعبد، وله رباط بالقرافة الصغرى، وصفته النصوص بأنه أحد المشايخ المشهورين مقصودا للزيارة والدعاء والتبرك به وأصحابه معروفون، ودفن بقرافة مصر الصغرى. اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص١٠٣

(٦) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص١٠٣

(٧) الكتبي: فوات الوفيات ، ج١، ص١٨٠

(٨) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٥، ص٦٠ ، ٦١

(٩) أحمد ابن رسلان :هو أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن يوسف بن علي بن أرسلان نزيل بيت المقدس كان والده خيرا قارئا تاجرا وأمه أيضا من الصالحات لها أخ له أوراد وتلاوة كثيرة ،ولد ونشأ برملة لم تعلم له

النصوص بأن له مكاشفات ودعوات مستجابات[١] ، وعمر بن محمد السراج وهو ممن عرف بإجابة الدعوة بحيث ظهرت فيه بركته وثمرة دعائه[٢]، وكان الشيخ المعتقد محمد بن صالح الدمراوي[٣] الذى اعتقد العديد من الناس أنه مجاب الدعوة [٤]، والعالم القاضي ابن الجلال الذي كان معروفا بإجابة الدعوة[٥]،ومنهم أيضًا محمد بن أحمد الفيشي [٦].

ومن الملفت للنظر أن الأمر تعدى وجود متخصصين للدعاء حتى وصل لوجود متخصصين فى دعوات بعينها ، فهذا يدعو للولد وهذا يدعو للرزق وهذا للحمل والولادة ، فعلى سبيل المثال نجد أن محمد بن بحر اليمني كان مشهورا بالخير والصلاح يقصد بالدعاء لطلب الأولاد فيحدث[٧]، والشيخ المعتقد إبراهيم الغنام وكان صالحا، للناس فيه الاعتقاد الحسن، ويسأله الناس الدعاء في أبناء من ذرياتهم ويتبركون به[٨] .

ومنهم من يطلب منه الدعاء بالشفاء ، وهنا نجد العديد من الروايات ذات السياق الشعبى ، منها ما نقله ابن حجر أن رجلاً طلب الدعاء من الشيخ علي بن عبد الله التركي

صبوة على طريق والديه وخاله فحفظ القرآن وله نحو عشر سنين ويقال إن أباه أجلسه في حانوت بزاز فكان يقبل على المطالعة وولي تدريس الخاصكية ودرس بها مدة ثم تركها والإفتاء ببرها وأقبل على الله وعلى الاشتغال تبرعا وعلى التصوف وألبس خرقته جماعة من المصريين والشاميين في مدة لا يكلم أحدا.السخاوي: الضوء اللامع ، ج١، ص٢٨٢ ، ٢٨٣

(١) السخاوي: الضوء اللامع ، ج١، ص٢٨٣

(٢) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٦، ص١٣٢

(٣) محمد بن صالح النمراوي: يعرف بابن صالح، شيخ معتقد عند الغمري، له أحوال صالحة وكرامات مذكورة مع ظرف ولطف وخفة روح، توفى بعد تعلله مديدة بالفالج وصلي عليه بعد صلاة العصر بجامع الأزهر في مشهد حافل ثم دفن بتربة طشتمر حمص أخضر وجاز السبعين أو قاربها. ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج١٠، ص٨٧ .

(٤) ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج١٠، ص٨٧

(٥) السخاوي: وجيز الكلام ، ج٢، ص٥٧٧

(٦) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٧، ص١٢٣

(٧) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٧، ص١٤٩

(٨) ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج٦، ص٢٣١

لمرض به في وجهه فمسحه بلسانه ودعا له فشفاه الله سريعا[١] ، ومنهم من يطلب له الدعاء بوفاء الدين، وخاتمة الخير[٢] ، ورغم ما فى الرواية من مبالغة واضحة إلا أنها تشى لنا عن تطور الظاهرة محل الدراسة فى العصر المملوكى .

ومن الغريب أيضاً فى رصد هذه الظاهرة أن بعض رجال السلطة قد عينوا أشخاصاً للدعاء لهم فقط مقابل راتب معلوم [٣].

وكما كان هناك أدعية خاصة وشخصية كانت هناك أدعية للمصالح والشؤون العامة ، فقد كان البعض يطلب من الصالحين الدعاء فيذكر أن يدعو كل يوم للمسلمين[٤]، وكان قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة كان مقصوداً بالأدعية للمسلمين، فمكانته عندهم مكينة، فيطالعهم بأخباره ودعائه[٥]، وكان صديق بن عبد اللطيف أحد المتصوفة كثير الدعاء لإخوانه وشيوخه والاهتمام بهم[٦] .

ومن المثير للسخرية أن البعض كان يدعو بأن يخفف تردد الناس إليه كالشيخ الزاهد نصر ابن سليمان المنيخى ممن يرجو الناس دعاءه ويتبركون بدعائه وكان الشيخ يكره الاجتماع بالأكابر وتلجئه الضرورة إلى ذلك لما يحصل بسبب اجتماعهم به من النفع المتعدى إلى غيره، ودعا الشيخ الله تعالى أن يخفف عنه تردد الناس [٧].

الجدير بالذكر أن بعض المعاصرين ألفوا الكتب في الدعاء كبهاء الدين أبو البقاء محمد[٨] الذي كتب كتابا في الدعاء حذو" سلاح المؤمن "سماه" جنة المتقي" [١].

---

(١) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٢، ص٢١٥

(٢) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٣، ص١٨ ، ١٩

(٣) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٧، ص٢١٦ ، ٢١٧

(٤) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص١٣٥

(٥) البرزالي: المقتفي ، ج٢، ص٦١٨

(٦) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٣، ص٣٢٠

(٧) النويري: نهاية الآرب،ج٣٢، ص٢٣٧ ، ٢٣٨

(٨) بهاء الدين أبو البقاء محمد: كان الناس يقصدون سماع قراءته لحسن صوته ولينه وآدابه وطيب نغمه ولما صلى وهو صبي وكان الناس يأتونه أفواجا ليسمعوا قراءته حتى المعروفون بالأصوات والأنغام كالفاخوري، باشر

وتشير النصوص في هذا الصدد أن أحمد الوراق نزيل الجامع الواسطي ببولاق وأحد المعتقدين عند العوام، ممن يطلب منه الدعاء ، حيث أإن بعضهم سأله الدعاء وهو بالروضة النبوية فقال له "يا قليل العقل في هذا المحل وأَنت عند سيد الكل هذا أو نحوه"[٢].

الدعاء وصورة الخير والشر فى الذهنية الشعبية :

كان الدعاء أحد أسلحة العوام الخفية لمقاومة الشرور التى يعتقدون أنها شرور ، فالعوام الذين يتبنون مواقف أخلاقية محددة ويتحمسون لها ، إن هذه العناصر فى تبنيهم لهذه المواقف يرون أنها الخير المطلق وأن ما عداها هو الشر بعينه ، إن الباحث فى هذا السياق لن ينحو منحاً ميثولوجياً بطبيعة الحال ولكن الميثولوجيا هنا ستكون حاضرة فى تفسيرات العوام للأحداث ومجريات الأمور ، حتى أن الروايات التاريخية ستربط بوضوح بين الدعاء وبين استجابة القدر وبالطبع فإن هذه الاستجابة ستكون موجهة ضد ما يراه العوام شراً وبالتالى فالعوام الذين لم ينصرهم واقعهم السياسى سينتصرون من خلال أدعيتهم ، وهو ما يمكن أن نلاحظه عبر مجموعة من النصوص التالية التى تلخص معادلة الخير والشر .

ومنذ البدايات المبكرة للحكم المملوكى نجد العوام يأخذون جانب طرف دون طرف آخر بأدعيتهم وهو ما نجده بوضوح بعد اغتيال السلطان المظفر قظز ، فآمنوا أنه مات مظلوماً ولذلك كثر الترحم عليه والدعاء على من قتله[٣].

كما نجد إحدى المشاهد التاريخية الشديدة البلاغة وهو ما قام به عوام المصريين من الدعاء على السلطان المؤيد شيخ لأنه سمم ابنه الأمير إبراهيم [١] وأفضى الأمر إلى موته سنة

عدة وظائف ثم تركها ودرس بالظبيانية، ثم كان في آخر أمره صوفيا بخانقاة عمر شاه وفقيها بالركنية وكان يقرأ صحيح البخاري ومسلم قراءة جيدة وفهمه في العلم جيد، توفى بإيوان المدرسة الأسدية ظاهر دمشق مطعونا وصلى عليه بعد صلاة الظهر بجامع تنكز ودفن بطرف مقبرة الصوفية غربي قبر والده جوار قبر تاج الدين وشيعه جماعة كخيرون من القضاة والفقهاء والأمراء والعوام وبكوا عليه وترحموا وتزاحموا على حمل نعشه وكان الناس يحبونه لحسن قراءته وعشرته. ابن حجي: تاريخه، ج١، ص٣٠١

(١) ابن حجي: تاريخه، ج١، ص٣٠١

(٢) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٢، ص٢٦٥ ، ٢٦٦

(٣) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٢٩

(٨٢٣هـ/١٤٢٠م) ولذلك كثر الأسف والحزن عليه من الناس وكثر الكلام في حق أبيه السلطان أنه سمه وصاروا يدعون عليه جهارا في وجهه[٢].

كما أن السلطان برقوق حظى بدعم معنوى كبير من العوام فتحمسوا له وأيدوه بأدعيتهم وآمنوا أن ما حدث معه من مؤامرات لإقصائه عن السلطة هى مؤامرات ظالمة ففى أثناء فتنة السلطان الظاهر برقوق سنة (٧٩١هـ/١٣٨٨م)[٣] اجتمع طائفة كبيرة من المماليك الظاهرية بناحية أطفيح ونودي على الملك برقوق وهدد من أخفاه فكثر الدعاء من العامة له وعظم الأسف على فقده[٤] .

كما دعا الناس رجالهم ونساؤهم للسلطان الظاهر برقوق لتواضعه بعد رجوعه للسلطة وهم يضجون بالدعاء للسلطان الظاهر برقوق حتى لقوه وأحاطوا به وقد فرشت الحرير من الترب إلى باب السلسلة فلما وصل إليها تنحى بفرسه عنها وقدم الملك المنصور حاجي حتى مشى بفرسه

---

(١) الأمير إبراهيم : هو المقام الصارمي صارم الدين إبراهيم بن المؤيد شيخ المحمودي، وُلد ببلاد الشام في أوائل القرن الثامن تقريباً، مرض سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م وتوفي بها وعمره نحو عشرين عاماً. ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج١، ص١٦؛ النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٩٤-٩٧؛ المنهل الصافي، ج١، ص٧٨-٨٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٥٣.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢، ص٥٣

(٣)فتنة الظاهر برقوق: عمل الأمير منطاش بالاتفاق مع بعض الأمراء على خلع الظاهر برقوق وإعادة السلطان المنصور حاجي إلى السلطنة، ففر الظاهر برقوق إلى الشام، وخرج الأمير يلبغا الناصري لملاقاة منطاش، ثم انقلب الأمير يلبغا على الملك الظاهر، وانضم الى الأمير منطاش فقويت شوكته، وآل الأمر بخلع الظاهر برقوق، وبعد عدة معارك انتهت الفتنة بقتل الناصري ثم منطاش بقلعة حلب وأرسل رأسه للظاهر وعودة الظاهر برقوق للسلطنة سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م. للمزيد من التفاصيل انظر. ابن صصري: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ترجمة وليم م. برينز، كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، (د. ت)، ص٥٧ – ١٤٠؛ ابن الشحنة: روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد علي مهنى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م ، ص٢٩٣ – ٢٩٦؛ أنطوان خليل: الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري (١٢٩٠– ١٤٢٢)، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠م ، ص٣١٢ – ٣٢٤؛ حكيم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٦١ – ١٠٢.

(٤) المقريزي: السلوك ، ج٣، ق٢، ص٦٢٧ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١١، ص٣٢٣ ؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان ، ج١ ، ص٢٢١

عليها ومشى بجانبه فصار كأن الموكب للمنصور فوقع هذا من الناس موقعا عظيما ورفعوا أصواتهم بالدعاء والابتهال له لتواضعه مع المنصور في حال غلبته وقهره له[١].

وعلى جانب آخر فقد انطلقت الألسنة بالدعاء على بعض السلاطين كما مر بنا سابقاً ولكن ما نضيفه هنا أن أى مرض حادث يتعرض له السلطان ساعتها تؤمن الذهنية الشعبية أن ما حدث لم يكن سوى انعكاسات لأدعيتهم ، وهو ما نراه مع حالة السلطان الأشرف برسباي فى سنة (٨٤١هـ/١٤٣٧م) عندما منع سؤال الفقراء والحرافيش في الأسواق وألزمهم بالتكسب بالصنائع ومن وجد منهم يتسول يقبض عليه ، ولم يعهد هذا في زمن من الأزمان –حسبما وصفت النصوص– ، فانطلقت ألسنة الفقراء بالدعاء على السلطان وبزواله ، أما الجزء الأهم فى الرواية هو ما ذُكر بأن السلطان أصبح مريضاً ضعيفا وقد أكل أكلا خبيثاً مثل كرش البقر فانتكس ولزم الفراش ثم أمر السلطان بتوسيط طبيبه الخاص لاعتقاده أنه دس له سما فشق ذلك على المسلمين ونفرت قلوبهم منه وبالغوا في الدعاء عليه ومن وقته وتزايد المرض عليه وانتكس ولزم الفراش[٢].

إذن فالرواية هنا لم تفسر الواقعة تفسيراً علمياً بالطعام الذى أكله السلطان وإنما فسرت ذلك بأدعية العوام والمظلومين ، والباحث هنا لن يتبنى بطبيعة الحال ما تبناه العوام من تفسير ولكن بيت القصيد هو الغوص فى الرؤية الشعبية لمجريات الحدث التاريخى فى هذا السياق .

وفى سياق الحديث على حضور الدعاء فى قضية الخير والشر كسلاح للمستضعفين ظهرت أدعية مخصوصة للتعامل مع الأعداء ، فيذكر السخاوي أنه ذكر دعاء بمكة ينفع من الأعداء على ما بلغه من بعض الشيوخ يقال ثلاثا عند الصباح وعند المساء وهو :"اللهم يا مخلص المولود من ضيق مخاض أمه ويا معافي الملدوغ من شدة حمه وسمه ويا قادرا على كل شئ بعلمه أسألك بمحمد واسمه أن تكفيني كل ظالم بظلمه"[٣].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٢، ص٣ ؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج١ ، ص٢٩٤ ، ٢٩٥

(٢) المقريزي: السلوك ، ج٤، ق٢، ص١٠٣٧؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٣ ؛ ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢، ص١٨٥

(٣) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٧، ص١٢٣، ١٢٤

وفى ذات السياق فنستمر مع ما نقلته النصوص متأثرة بالحكى الشعبى فيما حدث مع الأمير كراي نائب دمشق سنة (٧١١هـ/١٣١١م) عندما قرر على أملاك دمشق وأوقافها ألف وخمسمائة فارس وهي التي كانت تسمى مقرر الخيالة وأعسف بالناس في الطلب وضرب جماعة وأخذ مالا كبيرا فتجمع الناس مع الخطيب جلال الدين محمد القزويني وكبروا ورفعوا المصاحف والأعلام فضربوا وطردوا طردا قبيحا فكثر عليه الدعاء وتستكمل الصورة الشعبية بقول النص فلم يمهل بعدها غير تسعة أيام[١].

كما كان القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله المعروف بالنشو واحداً ممن أصابتهم أدعية المصريين وآمنوا بأن دعاءهم هو من أدى به إلى النهاية فمن النصوص الدالة على استجابة الدعاء أيضًا أنه اجتمع أرباب الرواتب والصدقات وفيهم الأرامل والأيتام والزمناء والعميان وصاروا في بكاء ونحيب فتقطعت القلوب حسرات رحمة بسبب النشو[٢] فتجمعوا ليدعوا على النشو طول ليلتهم وكانوا جموعا كثيرة إلى الغاية ، وبالطبع لم تقف الرؤية الشعبية عند هذا فكان لابد من تحقق رغبتهم وتنفيذ طلبهم الذى رفعوه إلى السماء حسب رؤيتهم ولذلك فيستمر النص بقوله " فأصبح النشو مريضا وانقطع بداره" [٣].

وحسبما روت نصوص أخرى أن التجار وأصحاب الأموال في ضيق شديد من ظلم النشو ومماليكه حيث كان كثير المصادرات والنهب لهم، وكان يقطع أرزاق أرباب الراوتب والصدقات وفيهم الأرامل والعميان والزمناء فاجتمعوا وذهبوا إلى السلطان الناصر محمد بالقلعة وصاروا في بكاء ونحيب يشكون له ما يفعله النشو بهم ، فأمر السلطان أن ينصرفوا ويحضروا أول الشهر ومن يتأخر يشطب اسمه ، فذهبوا وتفرقوا تلك الليلة بالجوامع بالقاهرة ومصر للدعاء

---

(١) المقريزي: السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص١٠٤

(٢) النشو: القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله المعروف بالنشو، خدم أولاً مع أبيه عند الأمير بكتمر ثم رآه الناصر محمد بن قلاوون وأعجبه ورتبه مستوفيا في الجيزة ثم نقله إلى استيفاء الدولة وهو نصراني، فتسلمه الناصر وسماه عبد الوهاب وجعله ديون ولده أنوك ثم قرره في نظر الجيش ثم ناظر الخاص، كانت وفاته سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٢، ص٤٢٩، ٤٣٠؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٧، ص٣٩٠ – ٣٩٣؛ الدليل الشافي، ج١، ص٤٣٤؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٨، ص٢٢٢.

(٣) المقريزي: السلوك ، ج٢ ، ق٢ ، ص٤٧٧

على النشو ، وكعادة الروايات التى أرخت لهذه الإشكالية فتماهت مع الرؤية الشعبية بقولها " فأصبح النشو مريضًا وانقطع بداره ، وحذره القاضي شمس الدين محمد بن الأكفاني مع قطعٍ مخوف ، يخشى منه إراقة دمه ، فدخل النشو الحمام ومعه ابن الأكفاني فأمر بعض عبيده السود أن يحلق رأسه ويجرحه بحيث يسيل الدم على جسمه ليكون ذلك حظه من القطع المخوف ففعل به ذلك وتباشروا بما دفع الله عنهم بهذا ، اعتقادا منه أن القطع الذي خُوف منه قد زال عنه بما دبره له ابن الأكفاني من إسالة دمه ، فعلق عليه عدة من العقود والطلاسم والحروز معتقداً أنها أدوات شعبية مناوئة للدعاء ، ولكن ما حدث أن السلطان قبض عليه وعلى سائر أقاربه وحواشيه واحتاط على أمواله وممتلكاته[١].

كما تبنت الروايات مواقف الفقراء وقدرتهم على توجيه مظالمهم إلى السماء وبالرد السريع على هذه المظالم مثل ما روى بخصوص أحد الفقراء قدم مظلمة في وزارة الصاحب فخر الدين ماجد المعروف بابن خصيب[٢] فمزقها وطرده فدعا عليه وخرج فلم يمض سوى أيام حتى قبض عليه وعذب إلى أن مات تحت العقوبة[٣] .

حادثة تدلل على ذلك أيضًا عندما عرض الأتابك يلبغا أجناد الحلقة بجزيرة أروى(٤) عدة أيام وشدد عليهم، وقطع رواتب جماعة منهم نحو الثلاثين وبذلك فإننا أمام قطع الرزق وهو الخط

---

(١) المقريزي: السلوك ، ج٢ ، ق٢ ، ص٤٧٦ ، ٤٧٧ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٩ ، ص١٣٣ ، ١٣٤

(٢) ابن خصيب: الأمير فخر الدين ماجد بن أمين الدين بن خصيب، تولى الوزارة في عهد الناصر محمد بن قلاوون، وكان متعالياً متكبراً، قبض عليه السلطان الناصر (سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م) وعلى أخيه ومماليكه وفرض عليهم الكثير من الأموال، ونفاه إلى بلاد الشام أكثر من سنة ثم إلى القدس فأقام هناك أربع سنين وتوفي بها سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٣٦م. المقريزي: السلوك، ج٣، ق ١، ص ٥٨، ٥٩.

(٣) المقريزي: السلوك ، ج٣، ق١، ص١٤٨

(٤) جزيرة أروى : سميت الوسطي لتوسطها بين الروضة وبولاق وبر الجيزة، وكان بها دور جليلة وأسواق وبساتين وآبار وجامع وأسواق، وصارت متنزهًا حسنًا. ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق العربية، بيروت، [د. ت]، ج٢، ص٤٥، ٤٦؛ السخاوي: البلدانيات، تحقيق حسام بن محمد القطان، دار العطاء للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠١ م ، ص١٣٨.

الأحمر والأكثر استجلاباً لأدعية المصريين وكثر الدعاء عليه، وبطبيعة الحال استمر النص قائلاً " فكانت نهايته بعد مدة قليلة " [١].

ومن الحوادث التي تبنت فيها الروايات أهمية الدعاء فى الانتصار للمظلومين عندما قبض بعض مماليك الأمير أقتمر الصالحي[٢] سنة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) على امرأة أنكروا أمرها فاستغاثت وظن بعض العوام أنهم أرادوا بها الفساد فرجموهم فأدموا وجه أحدهم فشكوا إلى النائب فأمسك من وجد في ذلك المكان وأمر بقطع أيديهم فشفعوا فيهم فأمر بضربهم بالمقارع فضربوا، وغالبهم برئ فابتهلوا بالدعاء عليه فلم يقم إلا دون الشهر ومات[٣].

وفى إطار تبنى العوام قضية الخير والشر كان الدعاء على البعض بسبب خيانتهم بعد دخول العثمانيين مصر سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م) أبيعت النساء والأولاد والأحرار كما تباع الرقيق وبأبخس قيمة فوقع على الغزالي الخائن من دعا العامة ما لايحصى عدداً حتى دعا عليه غير المسلمين من المسيحيين واليهود [٤].

وعلى جانب آخر فإن الرؤية الشعبية بأن الدعاء هو السلاح الناجع تغافلت عن كافة الرؤى السياسية والجهود الدبلوماسية فعلى سبيل المثال في سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٣م) أخذ الفرنج مجموعة كبيرة من أسرى المسلمين فكتب إلى نواب الشام بالاجتهاد في ردها وهو الجانب السياسى والدبلوماسى فى الأمر ، فورد كتاب الأمير ناصر الدين القيسري بأن الفرنج ردوها بالطبع نتيجة الجهود الدبلوماسية ، وكانت تشتمل على عالم كبير من الناس وكثير من المواشي ، ولكن الرواية أسندت البطولة لأدعية الرجال والنساء وبكاء الأطفال ما تكاد ترق له الحجارة[٥].

---

(١) ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج١، ص٣٨٩.

(٢) أقتمر الصالحي : كان من مماليك الصالح إسماعيل، وولي رأس نوبة في دولة المنصور بن المظفر ثم خازن دار في دولة الأشرف ثم نفاه الجاي إلى الشام ثم أعيد بطالا ثم استقر رأس نوبة ثم نائب السلطنة بعد منجك، ثم عزل منها في أواخر دولة الأشرف لإنكاره على بعض خواصه ثم أعيد بعد الأشرف ثم نفاه أينبك إلى الشام ثم قرره في نيابة الشام بعد مجيء طشتمر إلى مصر، وكان يعرف أولا بالصاحبي، وكان يحب الأمر بالمعروف وإزالة المنكرابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص١٦١.

(٣) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص١٦١.

(٤) ابن زنبل الرمال: واقعة السلطان الغوري، ص١٣٤.

(٥) المقريزي: السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٥١٣.

وكما انتظروا الشر على من أصابه دعاؤهم كان انتظار الخير للصالحين الذين تشيعوا لهم وأحبوهم ، فنرى على سبيل المثال ما حدث مع تاني بك البجاسي نَائِب دمشق كان خيراً كثير الصدقات وقد أحسن إلى الحجاج لما رجعوا فإنهم لقوا مشقة عظيمة بتراكم الرياح بحوران فخرج إليهم بنفسه ومعه أنواع الزاد والبغال وفرق عليهم الكثير فانتفع الغني والفقير وأفرطوا في الدعاء له وبالطبع كان لابد من وجود عائد من هذه الدعوات فكانت عاقبته الشهادة ، وكأن موته شهيداً هو جزاءً وفاقاً لأدعية الفقراء له [١].

ومن نماذج الرؤية الشعبية لصالح ما تبنوه من مواقف الخير هو نتيجة الدعاء الإيجابى لمن يساند العوام ويتبنى قضاياهم ، ففى سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) حدث وفاء النيل وتم الكسر فتوجه الأمير طومان باي الدويدار[٢] لفتح السد ، ففرق على المتفرجين أكثر من مائتي صنف من الحلوى ومائتي مشنة فاكهة والكثير من البطيخ الصيفي ونثر للعوام فضة فارتفعت له الأصوات بالدعاء، وربطت الروايات بين دعاء العوام وبين ما حدث معه من تغير كبير فى حياته حيث تولى أمور السلطنة بعد ذلك وهو ما قاله إبن إياس " وتسلطن عقيب ذلك " [٣].

ومن المثير أن قضية تحمس العوام للصالحين بلغت درجة عالية من درجات الاعتقادات حتى وصلت لمرتبة الأساطير ، فحسب أبى الفدا أنه أثناء غسل أحد شيوخ العصر المشهورين بالمكاشفات ويدعى الشيخ إبراهيم قُرىء عنده سورة البقرة وهو يغسل، فلما وصل القراء إلى قوله

---

(١) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٣، ص٣٣٣، ٣٣٤؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج٣، ص٢٦ ؛ وجيز الكلام ، ج٢ ، ص٤٨٣

(٢) الدويدار: هي لفظة فارسية معربة، أى ممسك الدواة للسلطان أو الأمير، وكان عمله تبليغ أوامر السلطان إلى من يريد بالحضور، مع ما يلحق ذلك من المهمات نحو تبليغ الرسائل عنه وتقديم القصص والشكاوى إليه وتقديم البريد، ولكثرة مهامه عُين معه عدد من الخاصكية بلغ عشرة أو أكثر دودار ثان وثالث.العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٠٤، هامش٣؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٧٩؛ عبد العزيز محمود عبد الدايم: تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك، بحث منشور بمجلة المؤرخ المصري، القاهرة، العدد ٣، يناير ١٩٨٩ م، ص١٤٧، ١٤٨؛ عبد الله عيد كمال سيد: التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١١م، ص٢٢؛ ماجدة مصطفى الغمري: قلعة الجبل ، ص٥٠ –٥٣.

(٣) بدائع الزهور،ج٣، ص٤٤٦

تعالى" ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا" رفعوا أيديهم للدعاء، فرفع الشيخ إبراهيم يديه معهم للدعاء وهو ميت على المغتسل[١] .

وفى ذات الإطار ما نقلته الروايات عن قاضي القضاة الحنفية الشرف بن عيد أنه في يوم موته أحضر له ثوبًا جديدًا فلبسه قبل حدوث الزلزلة التي توفى فيها ، وكان من دعائه حين لبسه "اللهم كما ألبستني جديدًا فأمتني شهيدا"[٢].

كما آمنت القناعات الشعبية بأنه من أسباب عدم استجابة الدعاء تفشي المعاصى والخلاعة لدرجة اجتماع الرجال والنساء في شهر رمضان بعد العشاء وحدوث كثير من الفساد[٣] ، ومن الطريف ما نقلته إحدى النصوص في عدم إجابة الدعاء على الظالمين بورود إجابة المظلوم مما صدقه فيه أنه لم يبق مظلوم في الحقيقة بل كل يظلم في المعنى الذي هو فيه من له قدرة على ظلمه ولا يتخلف إلا للعجز[٤].

الخلاصة :

ارتقى الدعاء فى مصر فى العصر المملوكى لمرتبة الظاهرة ، كونه انعكس فى النصوص التاريخية التى أرخت لكافة جوانب الحياة فى ذلك العصر سواء على المستوى السياسى والاجتماعى والثقافى والدينى ، فظهر جليًا في كافة جوانب الطقوس والحياة والمراسم ، كما كان الدعاء جزءاً من التكتيكات التى يستخدمها العامة فى الاحتجاجات ، بالإضافة إلى ما سبق فقد ظهر أن الدعاء كان عائقاً للحداثة ، لم يكن مجرد لجوء إلى الله عز وجل بل كان تعبيراً عن التخلف الاجتماعى وقلة الحيلة .

على المستوى السياسى فقد تماست قضايا هامة مع الدعاء ، فالدعاء للسلطان مثلاً هو أحد أوجه سيادته ، والدعاء هو أيضاً رسم أصيل من رسوم السلطة ونظمها سواء للسلطان أو حتى

---

(١) أبي الفدا: المختصر، ج٤، ص١٤١

(٢) ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل ، ج٧، ص٢٨١

(٣) البقاعي: إظهار العصر، ج٣، ص٢٨٦؛ إيمان صلاح: نساء العامة ، ص٤٧٩

(٤) السخاوي: الضوء اللامع ، ج٢، ص٢٦٣

للخليفة العباسى بعد إحياء الخلافة فى القاهرة ، كما أن الدعاء رافق النصر والحرب فى العصر المملوكى ، سواء تمنياً للنصر أو احتفاءً به .

أما عن الإشكالية الأبرز هى إرتباط الدعاء بما يمكن تسميته بنية الاستبداد فى العصر المملوكى ، كان بعض السلاطين المماليك يخافون من قوة الدعاء واستجابته بل وعملوا على استجلاب الأدعية الصالحة خوفًا من دعاء الفقراء ، رغم هذا الحرص فقد أصابت السلاطين دعوات العوام إما لقطع الأرزاق أو لثقل الضرائب ، ومن المثير أن قدرة السلطان التى قد ترهلت نتيجة التطور التاريخى والتدهور السياسى لجأت لهذه القدرة التى شاخت إلى الدعاء سواء على المماليك الجلبان الذين ساءت ممارساتهم أو على بعض الأمراء .

فضلاً عن ذلك فقد كان الدعاء أحدأسلحة العوام الخفية ، فهو صرخة العوام المكلومة إلى السماء ، صرخة استغاثوا فيها من الضرائب والظلم وشظف العيش فتذمروا واشتكوا من صاحب السلطة الدنيا إلى صاحب السلطة العليا من أوجاع معيشتهم ، فدعوا على السلطان وكبار رجال السلطة وخصوصاً إذا اقتربت هذه الأوجاع من قطع الأرزاق ، وثقل الضرائب وسوء السياسات وهدم المساكن والدور والاضطرابات الأمنية ، وهى بالطبع الحاجات الأولية للحياة كما يتمناها العوام فى تلك الفترة التاريخية ، كان الدعاء على رجال السلطة إحدى أوجه صور مواجهة الظلم الذى تعرض له العوام ، وكأن الدعاء بمثابة صرخة المستضعفين للتعبير عن أوجاعهم ومظالمهم .

ولأن الشخصية الشعبية هى شخصية متناقضة بامتياز فكما دعت على السلطان دعت له ، وكما دعت على رجال السلطة دعت لهم ، هذه البساطة فى تحول المشاعر تعود لبساطتهم فى الحياة ، فما إن تزول أسباب حنقهم تعود مشاعرهم مرة أخرى صالحة لحب السلطان ، فما نشدوا سوى الحياة الكريمة ، ولذلك سنجد أن هناك ملازمة بين الدعاء للسلطان والرخاء أو إسقاط الضرائب أو رفع المظالم ، وبذلك فإن موقف هذه العناصر الشعبية من السلطة ليس موقفاً متربصاً بقدر ما هو موقف قليل الحيلة الذى لا يريد سوى سلامه الاقتصادى والأمنى وتخفيف الأعباء الاقتصادية .

كما رافق الدعاء أيضاً الغلاء ، إما برفع هذا الغلاء أو الدعاء على من تسبب فيه ، ومن الأمور المأساوية أن الغلاء كان يُشعر البعض بالعجز فيدعو على نفسه بالموت أو على أولاده حين ييأس ويغلب عليه الأمر من قلة الأموال وكثرة النفقات .

كانت الكوارث الطبيعية إحدى أهم المناسبات التى رافقت الدعاء فى مصر والشام فى العصر المملوكى ، فتضرعوا للسماء لإنقاذهم من غضبها ، وليتطهروا من آثامهم التى آمنوا أنها سبب أساسى فى هذه الكوارث مفسرين الأمر تفسيراً دينياً محضاً ، ولذلك رصدت الدراسة بوضوح ديمومة العلاقة بين الدعاء والكوارث الطبيعية ، وقد تجلى ذلك بوضوح شديد فى الحديث عن كوارث المياه سواء بالنقص أو الزيادة ، فضلاً عن وجود أدعية مخصوصة للاستسقاء ، بالإضافة لكوراث أخرى مثل الأوبئة والطواعين .

أما عن الاستشفاء وممارساته فقد تجلت ظاهرة الدعاء فى كثير من ممارسات الكثير من المجتمع المصري والشامي ، وبطبيعة الحال كان الاستشفاء أحد هذه الأوجه ، لقد آمنت العناصر الشعبية أن الغيبى هو أحد الحلول لشفاء أمراضهم ، ولذلك عملوا على التداوي بالدعاء وإخراج الصدقات للصالحين والفقراء للدعاء لهم ليذهب الله عنهم المرض والتعب ، فضلاً عن الرقى والاستشفاء بالقرآن الكريم حسب ذهنياتهم .

كما ظهر جلياً أن هناك اعتقادات قوية وشائعة بأن بعض الأماكن كانت مخصوصة لإجابة الدعاء ولذلك قصدها أفراد المجتمع في العصر المملوكي للدعاء عندها مثل قبر السيدة نفيسة وغيرها من مشاهد ومقابر الأولياء ، بالإضافة إلى مواضع أخرى ، كما كان هناك متخصصون فى الدعاء إما لثقة الناس فيهم وفى كراماتهم ، أو حتى بشكل احترافى كالوظيفة التى يتقاضون عنها أموالاً ورواتب .

أما على مستوى أكثر إغراقاً فى فهم الذهنية الشعبية للعوام فقد كان الدعاء أحد أسلحة العوام الخفية لمقاومة الشرور التى يعتقدون أنها شرور ، فالعوام الذين يتبنون مواقف أخلاقية محددة ويتحمسون لها ، إن هذه العناصر فى تبنيهم لهذه المواقف يرون أنها الخير المطلق وأن ما عداها هو الشر بعينه ، وقد ربطت الروايات التاريخية بين الدعاء وبين استجابة القدر وبالطبع فإن هذه الاستجابة ستكون موجهة ضد ما يراه العوام شراً وبالتالى فالعوام الذين لم ينصرهم

واقعهم السياسى سينتصرون من خلال أدعيتهم ، وهو ما رصدته الدراسة عبر مجموعة من النصوص التالية التى تلخص معادلة الخير والشر ، فانتصرت رؤية الفقراء وانعكس ذلك على الروايات التى أرخت لهذه الإشكاليات .

وفى النهاية فإن الدعاء كظاهرة اجتماعية ثقافية تشابكت مع السياسى والاجتماعى والثقافى والسيسيولوجى ، لتقدم لنا جانباً غير مفكر فيه فى التأريخ الشعبى للعصر المملوكى .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصـــادر :

ابن الأخوة: (محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة) ت٧٢٩هـ/١٣٢٨ م

معالم القربة فى أحكام الحسبة، مكتبة المتنبي، القاهرة، [د.ت].

الإدفوي: (كمال الدين جعفربن ثعلب بن جعفر الإدفوي) ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م

الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م

ابن إياس: (أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس) ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م.

بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

صفحات لم تنشر من بدائع الزهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١م.

نزهة الأمم في العجائب والحكم، تحقيق محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م.

ابن أيبك الدوادارى: (أبو بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري) ت بعد ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م

الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية وهو الجزء الثامن من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق أولرخ هارمان، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٧١م.

الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت رويمر، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦٠م.

البرزالي: (علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي) ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م

المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.

البقاعي: (إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر) ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م.

إظهار العصر لأسرار أهل العصر المعروف بتاريخ البقاعي، تحقيق محمد سالم بن شديد العوافي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ١٩٩٣م.

بيبرس المنصوري: (ركن الدين بيبرس بن عبدالله المنصوري) ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م

مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣م.

التحفة الملوكية في الدولة التركية تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨-٧١١هـ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٧م.

زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك، تحقيق زبيدة محمد عطا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١م

ابن تغري بردي: (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي) ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م

حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق فهيم محمد شلتوت، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٠م.

الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهمي محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٩٨٩م.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق حسين نصار، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١م.

مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٢م.

ابن جبير: (أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير) ت ٦١٤هـ/١٢١٧م .

رحلة ابن جبير، سلسلة ذخائر العرب ٧٧، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)

ابن الجزري: (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري) ت ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م.

تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م.

الجوهري: (إسماعيل بن حماد الجوهري) ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

ابن الحاج: (أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد العبدري) ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦م.

المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، [د.ت].

ابن حبيب: (بدر الدين الحسن بن عمر بن حبيب) ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م.

تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م.

درة الأسلاك في دولة الأتراك، تحقيق محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م.

ابن حجر العسقلاني: (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد) ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م.

بذل الماعون فى فضل الطاعون ، دار العاصمة ، الرياض ، د.ت .

إنباء الغمر بأنباء العُمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١١م.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.

ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٢م

ابن حجى (أبى العباس أحمد بن حجى السعدى) ت ٨١٦هـ / ١٤١٣ م

تاريخ ابن حجى ، تحقيق : أبو يحيى عبد الله الكندرى ، دار ابن حزم ، بيروت ، ٢٠٠٣ .

ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الخضرمي) ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م

تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.

ابن خلكان: (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان) ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

خليل بن شاهين: (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى) ت٨٧٣هـ / ١٤٦٨م.

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م.

ابن دقماق: (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م.

الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق العربية، بيروت، [د. ت].

الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٥م.

النفحة المسكية فى الدولة التركية من كتاب الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م

الذهبي: (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان بن قايماز) ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

تذكرة الحفاظ، تحقيق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤هـ.

الزبيدي: (محمد بن محمد بن عبدالرزاق المرتضى الحسيني) ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م.

تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالفتاح الحلو، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٨٦م.

ابن زنبل الرمال:(أحمد علي بن أحمد بن زنبل بن زنبل الرمال المصري) ت بعد ٩٨٠هـ/١٥٨٧م.

أخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق عبد المنعم عامر، ط٢، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

السبكي: (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي) ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م.

طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق مصطفى عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م

معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٤٨م.

السخاوي: (العلامة الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م.

البلدانيات، تحقيق حسام بن محمد القطان، دار العطاء للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠١ م

التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كمال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٦م

الذيل التام على ذيل دول الإسلام للذهبي، تحقيق حسن إسماعيل مروة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٩٢م

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م.

الذيل على رفع الأصر، تحقيق جوده هلال ومحمد محمود صبح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م

سراج الدين بن الوردي: (أبو حفص عمر بن المظفر) ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م

عجائب البلدان " ويليه عجائب النباتات والفواكه والحيوانات"، تحقيق أنور محمود زناتي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١١ م.

ابن الشحنة: (محب الدين أبو الوليد محمد بن محمد ابن الشحنة) ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م.

روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد علي مهنى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد) ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م.

تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد خياط، النشرات الإسلامية ٣١، فرانز شتاينر بفيسبادن للنشر، ١٩٨٣م.

الشوكاني: (محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني) ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

ابن صصري: (محمد بن محمد بن صصري) ت ٨٠٠هـ/١٣٩٧م.

الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ترجمة وليم م. برينز، كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، (د. ت).

الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي) ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م.

الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.

الصيرفي: (الخطيب الجوهري علي بن داود الصيرفي) ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م.

إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م.

ابن طولون: (شمس الدين محمد بن على بن طولون الدمشقي) ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م

مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

ابن عبد الظاهر: (محي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر السعدي) ت ٦٩٢هـ-١٢٩٢م.

الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦ م.

الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز خويطر، الرياض، ١٩٧٦م.

العليمي (أبو اليمن القاضى مجير الدين) ت ٩٢٨هـ / ١٥٢١ م

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، المطبعة الحيدرية ومكتبتها فى النجف ، العراق ، ١٩٦٨.

ابن العماد الحنبلي: شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن محمد) ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦م.

العمري: (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله) ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م

التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

العيني: (بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى) ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م.

الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، تحقيق هانس أرنست، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،١٩٦٢م.

السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهيم محمد علوي شلتوت، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٩٨م.

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث ٦٤٨- ٧١٢هـ/ ١٢٥٠-١٣١٢م)، تحقيق محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م.

أبي الفدا: (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر) ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م

تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٨٤٠ م.

المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم، يحيى سيد، دخائر العرب ٦٩، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

ابن الفوطي: (كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق بن أحمد الشيباني البغدادي) ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م.

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

الفيومي: (أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقريء) ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق خضر الجواد، مكتبة لبنان، لبنان، ١٩٨٧م.

القرماني: (أحمد بن يوسف القرماني) ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م.

أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٢م.

القلقشندي: (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي) ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م.

ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر، مطبعة الواعظ، القاهرة، ١٩٠٦م.

الكتبي: (محمد بن شاكر الكتبي) ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م.

فوات الوفيات والذيل عليه، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

ابن كنان: (محمد بن عيسى بن محمود بن محمد بن كنان) ت ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م.

حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، ١٩٩١م.

المقريزي: (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م.

ثلاث رسائل، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٨هـ.

جني الأزهار في الروض المعطار، تحقيق محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦م.

درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.

السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ج٢، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ج٤، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

المقفي الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م.

إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ٢٠٠٠م.

المناوي: (محمد عبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي المناوي) ت١٠٣١هـ/ ١٦٢١م.

النقود والمكاييل والموازين، تحقيق رجاء محمود السامرائي، سلسلة كتب التراث (١٠٧)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١م.

ابن منظور: (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي) ت ٧١١هـ / ١٣١١م.

لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د. ت).

النويري السكندري: (محمد بن قاسم بن محمد المالكي) ت٧٧٥هـ / ١٣٧٣م

الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الأسكندرية، تحقيق عزيز سوريال، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٧٠م.

النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري) ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م.

نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب فواز، حكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

ابن واصل: (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل) ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م.

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤م.

ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله) ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م.

معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

اليوسفي: (موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي) ت ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م

نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.

اليونيني: (قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونينى) ت ٧٢٦هـ /١٣٢٥م.

ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٥٤م.

ثانياً : المراجـــع العربية :

إبراهيم علي طرخان:

النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

أحمد عبد السلام ناصف:

الشرطة في مصر الإسلامية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.

أحمد مختار العبادي:

قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.

أمينة خليل :

عوام وسلاطين الاحتجاجات الحضرية فى أواخر العصور الوسطى فى مصر والشام ، ترجمة : عثمان محمد مصطفى ، المركز القومى للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٩ .

أنطوان خليل ضومط:

الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري (١٢٩٠- ١٤٢٢)، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠م.

إيمان صلاح عطاطة :

نساء الطبقة الوسطى في مصر خلال العصر المملوكي "جدلية الوجود والإنكار" ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٩م .

نساء العامة فى مصر فى خلال العصر المملوكى ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٢٠ .

البيومي إسماعيل:

النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، تاريخ المصريين ١١٨،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية "عصر سلاطين المماليك"، تاريخ المصريين ١١٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.

حسن السندوبي:

تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٨م.

حسن عبدالرحمن خطاب:

الزراعة والمجتمع الريفي في مصر الإسلامية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٨١م.

حكيم أمين عبد السيد:

قيام دولة المماليك الثانية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.

رأفت محمد النبراوي:

النقود الإسلامية في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة، ط٢، مطبعة مركز الحضارة العربية للإعلان والنشر، القاهرة، ١٩٩٦ م.

رجب محمود إبراهيم بخيت:

تاريخ دولة المماليك، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، (د. ت).

زبيدة محمد عطا:

اليهود وتجارتهم في مصر الإسلامية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م.

سعيد عبد الفتاح عاشور:

المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م.

العصر المماليكي في مصر والشام، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.

بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، دار الأحد، بيروت، ١٩٧٧م.

مصر في عصر دولة المماليك البحرية، سلسلة الألف كتاب ٢٢٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

سيد عويس :

رسائل إلى الإمام الشافعى ظاهرة إرسال الرسائل إلى ضريح الإمام الشافعى " دراسة سوسيولوجية " ، دار الشايع ، القاهرة ، الكويت ، أمستردام ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨ .

شحاتة صيام :

الطهر والكرامات ، قداسة الأولياء ، روافد للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١١ .

شفيق مهدي:

مماليك مصر والشام (نقودهم – نقوشهم – مسكوكاتهم – ألقابهم – سلاطينهم)، الدار العربية للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨م.

الشيخ الأمين محمد عوض الله:

أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين ٢٩٥، القاهرة، ٢٠١٤م

طارق جلال عبد الحميد:

الجيش في العصر المملوكي(٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧ م)، دار كتابات، القاهرة، ٢٠١٢م.

عادل عبد الحافظ حمزة:

نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك، (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، سلسلة تاريخ المصريين ١٨٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

عاصم محمد رزق:

معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧-٩٢٣هـ / ١١٧١ – ١٥١٧م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م.

عبد الرحيم غالب:

موسوعة العمارة الإسلامية، دار جروس برس، بيروت، ١٩٨٨م

عبد المنعم ماجد:

نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م.

طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر "دراسة للأسباب التي أنهت حكم دولة سلاطين المماليك في مصر"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.

علي باشا مبارك:

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠١م.

عمار على حسن :

الصوفية والسياسة في مصر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٧.

فوزي حامد عباس الميموني:

الحياة الاقتصادية في مصر العليا خلال العصر المملوكي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م

لمى ابراهيم عزيز الزريجي:

دولة المماليك الجراكسة " دراسة في التاريخ الاقتصادي من خلال كتاب نيل الأمل للمؤرخ عبد الباسط الظاهري، دار تموز، دمشق، ٢٠١٢م

بولاق في عصر دولة المماليك الجراكسة "٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م"، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م

محاسن محمد الوقاد:

اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزه "٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م"، سلسلة تاريخ المصريين ١٣٥، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م

محمد أحمد دهمان:

معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق،١٩٩٠م.

محمد أمين، ليلى إبراهيم:

المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠م.

محمد رجب النجار:

حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٤١م

محمد ضياء الدين الريس:

الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط٥، دار التراث، القاهرة، ١٩٨٥م.

محمد عبد الغني الأشقر:

الوزارة والوزراء في مصر عصر سلاطين المماليك، تاريخ المصرين ٢٨٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م.

محمد فريد بك المحامي:

تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت ١٩٨١.

محمد قنديل البقلي:

التعريف بمصطلحات صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندى، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م.

محمد محمد أمين:

فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك (٢٣٩-٩٢٢هـ/٨٥٣-١٥١٦م)، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (د. ت).

الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر،(٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م.

محمود رزق سليم:

موسوعة عصر سلاطين المماليك، ط٢، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٦٢م.

مصطفى علي دويدار:

أمراء الطواشية فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول، دار العالم العربى ، القاهرة، ٢٠١٧ .
جزيرة الروضة منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية حكم المماليك (٢٠ -٩٢٣هـ / ٦٤٠- ١٥١٧م)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الأسكندرية، ٢٠١١م.

نهلة أنيس مصطفى:

أولاد الناس بمجتمع عصر سلاطين المماليك، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٣م.

هاني حمزة:

مصر المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٢م.

ثالثاً :المراجع المعربة

أندريه ريمون:

القاهرة تاريخ وحضارة، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٩٤م.

جيمس سكوت :

المقاومة بالحيلة، كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم، ترجمة : إبراهيم الريس ومخائيل خوري ، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٥.

يلماز أوزتونا:

تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، ١٩٩٨م.

رابعاً : الدراسات والبحوث العربية :

إيمان صلاح عطاطة:

فقه الطاعون فى مصر والشام فى عصر سلاطين المماليك ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، الكويت ، عدد خاص بعنوان الأوبئة عبر التاريخ ، ج٢، ٢٠٢٠.

ممارسات الاستشفاء الشعبية في مصر من خلال كتاب المدخل لابن الحاج، بحث منشور بمجلة الاستواء، "عدد خاص بأبحاث المؤتمر الدولي الرابع لدراسات التراث الشعبي ٢٠-٢٢ فبراير"، مركز البحوث والدراسات الإندونيسية، جامعة قناة السويس، ٢٠١٧م

شلبي الجعيدي:

أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على المكتبة التاريخية في العصر المملوكي بحث منشور بالمؤتمر الإقيلمي الأول لقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٣-٤ابريل ٢٠١٦

عبد العزيز محمود عبد الدايم:

تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك، بحث منشور بمجلة المؤرخ المصري، القاهرة، العدد ٣، يناير ١٩٨٩ م.

كريمة محمد:

المفهوم اللغوي للعامة، بحث منشور بكتاب ثقافة الفقراء "دراسة في بنية وجذور الثقافة المصرية"، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م

محاسن الوقاد:

الحجابة زمن سلاطين المماليك، بحث منشور ضمن كتاب مصر في العصر المملوكي (دراسات حضارية)، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

نجوى كمال كيرة:

المشاعلية وأثرهم في المجتمع المصري خلال العصر المملوكي، بحث ضمن كتاب المجتمع المصري في العصريين المملوكي والعثماني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

خامساً : الرسائل الجامعية :

أحمد عبد الرازق عبد العزيز محمد:

الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين–الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الزقازيق، ٢٠١١م.

إيمان صلاح عطاطة:

دور نساء البلاط في مصر في العصر المملوكي "٦٤٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٦م

رشا فؤاد محمد حسن النمكي:

الزعر والحرافيش في مصر في العصر المملوكي "٦٤٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة طنطا، ٢٠١٢م

سحر علي محمد دعدع:

ولاة القاهرة الكبرى خلال العصر المملوكي (٦٤٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ٢٠٠٦م.

عبد الله عيد كمال سيد:

التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١١م.

ماجدة مصطفى الغمري:

قلعة الجبل في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م.

هالة نواف الرفاعي:

السجون في مصر في العصر المملوكي(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدرسات العليا، جامعة الأردن، ٢٠٠٨م.

سادساً :

المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨٩م.

سابعاً : المراجع الأجنبية :

:Dozy

.Supplement Aux Dictionnaires Arabes, Leydn , 1881

P. Blog:

The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria, New York, .1964